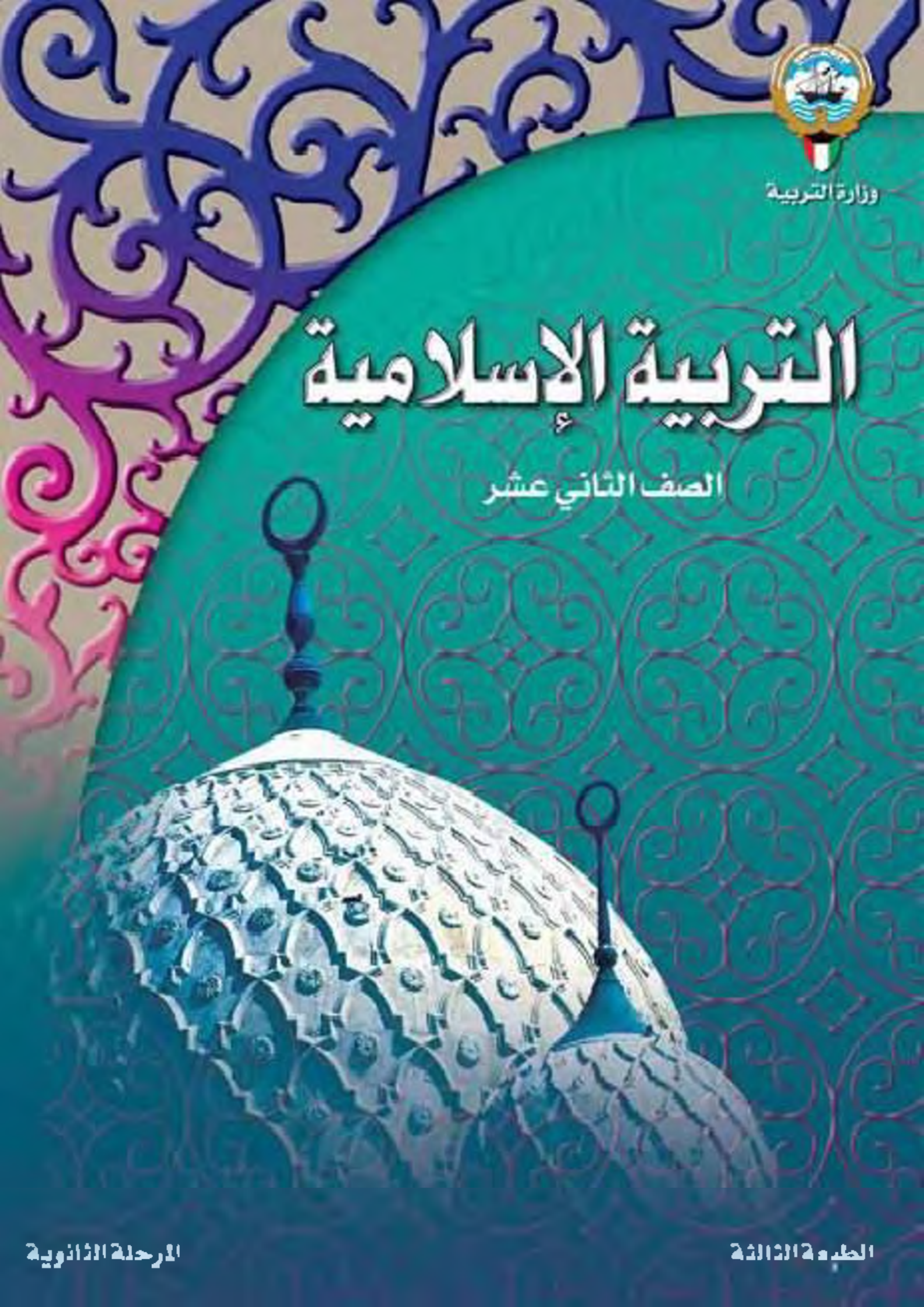
وزارة التربية
التربية الإسلامية
الصف الثاني عشر
الطبعة الثالثة
المرحلة الثانوية

إهداء خاص من
yakuwait.net
منتديات ياكويت

وزارة التربية

التربية الإسلامية

الصف الثاني عشر

تأليف

أ.د. عجيل جاسم النشمي

د. السيد محمد نوح — د. مبارك سيف الهاجري

أ. أحمد سعد المبيض — أ. خلود عبد اللطيف الدين

الطبعة الثالثة

١٤٣٢ - ١٤٣٣ هـ

٢٠١١ - ٢٠١٢ م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية - قطاع البحوث التربوية والمناهج

إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى ١٤١٨-١٤١٩هـ
١٩٩٨-١٩٩٩م
٢٠٠٠-٢٠٠١م
٢٠٠٢-٢٠٠٣م
الطبعة الثانية ٢٠٠٤-٢٠٠٥م
٢٠٠٦-٢٠٠٧م
الطبعة الثالثة ٢٠٠٨-٢٠٠٩م
٢٠١٠-٢٠١١م
٢٠١١-٢٠١٢م

تمت مواءمة الكتاب وفق السلم التعليمي الجديد

١- أ. خالد حسين القطان
٢- أ.د. محمد علي الحمادي
٣- أ. أحمد سعد المنيفي
٤- د. عبد الرحمن صالح الجبران
٥- أ. عبدالله محمد هلال
٦- أ. عبد اللطيف أحمد العمر
٧- أ. حسام محمد المسباح

المحتوى

الدرس	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	٧
	المفهوم الأول	
	«التفكر الصحيح في الكون سبيل الإيمان بالله تعالى»	١١
الدرس الأول	مكانة العقل وضرورة المحافظة عليه	١٣
الدرس الثاني	الإسلام يدعو إلى التفكير الصحيح وينهى عن التقليد	١٨
الدرس الثالث	المسلم مكلف بالتفكير في الكون للوصول إلى الإيمان بالله - تعالى -	٢٣
	المفهوم الثاني	
	«الابتكار والاختراع والتجديد طريق المجتمع إلى الرقي والتقدم»	٢٩
الدرس الرابع	البحث العلمي سبيل التنمية والتقدم	٣١
الدرس الخامس	رعاية المجتمع المسلم لقدرات ومواهب أفراده	٣٦
	المفهوم الثالث	
	«المسلم متمسك بشرع الله - تعالى - يجتنب الحرام، ويمارس ما طاب له من الحلال»	٤١
الدرس السادس	الحلال والحرام كله تشريع من الله	٤٣
الدرس السابع	مما أحله الله - تعالى - وله آثاره الفردية والاجتماعية	٤٧
الدرس الثامن	مما حرمه الله - تعالى - وله آثاره الفردية والاجتماعية	٥٥
	المفهوم الرابع	
	«المشكلات الفكرية والسلوكية»	٦٣
الدرس التاسع	المشكلات الفكرية والسلوكية التي يعاني منها المجتمع المسلم اليوم	٦٥
الدرس العاشر	مشكلة الحرية وموقف الإسلام منها	٧٠
الدرس الحادي عشر	مشكلة الطبقية وموقف الإسلام منها	٧٧
الدرس الثاني عشر	الاتجاهات في تفسير الكون والحياة وما ترتب عليها من سلوكيات	٨٣
الدرس الثالث عشر	مشكلة العدوان الدولي وموقف الإسلام منها	٨٨
الدرس الرابع عشر	الوطنية والقومية وموقف الإسلام منهما	٩٢

الدرس	الموضوع	الصفحة
	المفهوم الخامس «التشريع الإسلامي»	٩٩
الدرس الخامس عشر	من خصائص التشريع الإسلامي	١٠١
الدرس السادس عشر	الإسلام دين التوازن والاعتدال	١١١
الدرس السابع عشر	وحدة الأديان السماوية	١١٧
الدرس الثامن عشر	تعدد الشرائع السماوية	١٢٢
الدرس التاسع عشر	التشريع الذي يجب أن يتحاكم الناس إليه	١٢٩
الدرس العشرون	مقارنة بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية - ونظيرها في القانون الوضعي	١٣٤
	المفهوم السادس «المسلم يدل على كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ قارئا ومتدبرا - ودارسا وحافظا»	١٤١
الدرس الحادي والعشرون	القرآن الكريم هداية الله للعالمين	١٤٣
الدرس الثاني والعشرون	السنة النبوية صنو القرآن	١٤٩
الدرس الثالث والعشرون	أفضل سبل التعامل مع الكتاب والسنة	١٥٤
	المفهوم السابع «الحضارة الإسلامية: أسسها - خصائصها»	١٥٩
الدرس الرابع والعشرون	أسس الحضارة الإسلامية	١٦١
الدرس الخامس والعشرون	خصائص الحضارة الإسلامية	١٦٨
الدرس السادس والعشرون	من آثار حضارتنا الإسلامية	١٧٢
	المفهوم الثامن «العالم الإسلامي بين الأمس واليوم»	١٧٩
الدرس السابع والعشرون	العالم الإسلامي بالأمس	١٨١
الدرس الثامن والعشرون	العالم الإسلامي اليوم	١٨٦
الدرس التاسع والعشرون	مبشرات على طريق نهضة العالم الإسلامي المرتقبة	١٩٠

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3]

أما بعد

فيا أعزاءنا الطلبة، ها أنتم على مشارف الانتهاء من أهم المراحل الدراسية وها نحن نقدم بين أيديكم أهم مادة إيمانية علمية، تعينكم على حياتكم العلمية والعملية في حاضركم ومستقبل أيامكم، كتاب التربية الإسلامية، وقد شمل من المفاهيم ما أنتم بحاجة ضرورية لها ولأنفسكم وأسركم ومجتمعكم، مستشرفين به تحقيق العديد من الأهداف المعرفية والوجدانية التي هي محور هذا الكتاب. تجدون في كتابكم هذا حديث النفس والروح والإيمان إلى جانب الحديث عن الحياة والكون والمجتمع والعالم بما فيه من خير وشر ومشكلات ومفاهيم عقائدية وفكرية وروحانية ومادية. كل ذلك من منظور الإسلام كعقيدة وشريعة ومنهج حياة، بفهم وعرض واضحين ميسرين مرجعهما كتاب الله - وسنة نبيه محمد ﷺ.

إن التربية الإسلامية هي ملاذكم العقائدي والفكري والسلوكي في عالم غدا قرية صغيرة، لما يربط بين دوله من شبكات إعلامية ومرئية ومسموعة ومقروءة تحمل أفكاراً وتصورات وعقائد متباينة يحتاج المسلم والمسلمة إلى منهج متكامل ليواجهها بالتفنيد حيناً أو يوجهها توجيهاً سليماً حيناً آخر، ولا ينبغي لغير منظور الإسلام والتربية الإسلامية، أن يقوم بهذا الدور تحصيناً ووقاية وعلاجاً وريادة حضارية وهداية للعالمين. وتحقيقاً لغاية هذا الكتاب وتبسيطاً لمادته العلمية فقد حرصنا على مراعاة الأمور التالية:

- في أسلوب عرض الكتاب محاولات مرضية تحقق التعليم الذاتي، والإيجابية المبدعة، ومشاركة المتعلم في البحث والدراسة وإكسابه المفاهيم والمثل والمهارات اكتساباً ذاتياً، وذلك من خلال ما تضمنته

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢

(2) سورة النساء، الآية: ١

(3) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠ - ٧١

المادة المعروضة من تنوع في أساليب التقويم والعرض وإثبات لبعض المراجع والهوامش كي يتعود الطالب ارتياد المكتبة، والاستفادة من المواقع الإسلامية، وإعمال فكره وتحقيق متطلباته بنفسه والوصول إلى النتائج بجهده الذاتي.

- وقد عالجنا في المقرر ما رسمه المنهج معالجة توقف الطلاب على عقيدة الإسلام وتصوره ونظرته إلى الإنسان وفطرته، وما أولاه الإسلام من ضروب التكريم للإنسان وما قرر له من حقوق وما كلفه به من مسئوليات وواجبات، مع التأكيد على ما خص به المرأة من إعزاز وتقدير، وإبراز ما تضمنه الإسلام من عقائد وتوجيهات وأنماط سلوك تبعث في نفس المرء الطمأنينة، وتقضي على أمراض العصر من قلق وصراع.

- اعتمدنا في توثيق المادة العلمية على الحقائق المستقاة من المصادر الموثقة من كتابات القدامى والمحدثين وأثبتنا أهمها في الكتاب. وتوخينا في معالجة هذه الموضوعات سهولة العبارة ووضوح الفكرة في إيجاز يفي بحق المنهج، ويستشرف بالطلاب آفاقاً من المعرفة تشوقهم إلى الاستزادة منها بقدراتهم الذاتية.

- وحرصنا في عرض المفاهيم والسلوكيات المهمة أن نربط الطلبة بكتاب الله - سبحانه وتعالى - وسنة رسوله ﷺ فاتخذنا من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة شاهداً على صحة المعارف وتوثيقاً للوقائع والأحكام بما ينمي لدى الطلاب الميل إلى تلاوة القرآن الكريم وحفظه وفهمه والاستزادة من أحاديث الرسول ﷺ دراسة وفهماً.

- كما حرصنا على أن تتبع كل فقرة من فقرات المنهج بتقويم يمتحن القدرة على الفهم والاستنباط والمهارة في النقد والموازنة. وتركنا للزملاء المعلمين توجيه هذه الدراسة نحو أهدافها باستخلاص مواقف القدوة وإبراز حكمة التشريع بما يسر الطلاب فهم الإسلام والتزامه عقيدة ومنهجاً يقبلون عليه بحافزهم ويواسون عليه بسلوكهم.

والله نسأل أن يجعل هذا الجهد مشكوراً والعمل خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

المؤلفون

مقدمة لجنة
المواءمة

● أخي المعلم.... أختي المعلمة....

حرصت لجنة مواءمة كتب التربية الإسلامية على مراجعة حقائق ومعلومات كل درس في كتاب المتعلم، (الصف الثاني عشر) وتحققت من تخريج النصوص والاستشهادات الواردة في كل الدروس، ومن رفع التكرار، وحذف بعض العبارات أو تعديلها على حسب المطلوب، وإضافة ما يلزم من كلمات وعبارات، وذلك حرصاً على مصلحة المتعلم، وسهولة المادة عنده، بالإضافة إلى وضع تمهيد لكل درس لسهولة الدخول إلى حقائق ومعلومات الدروس، ووضعت عناوين جانبية لإظهار المادة العلمية.

كل ذلك امتداداً لمسيرة السلم التعليمي الجديد ونظام التعليم الثانوي الموحد، وعملاً بسياسة الوزارة الرامية إلى تطوير المناهج الدراسية للوصول إلى تحقيق الأهداف العامة للتربية في دولة الكويت.

المفهوم الأول

التفكير الصحيح في
الكون سبيل الإيمان
بالله تعالى

مكانة العقل و ضرورة المحافظة عليه

تمهيد: احترام العقل وشكر الله

* العقل من أجلّ نعم الله - عز وجل - على الإنسان:

العقل نعمة عظيمة من أجلّ النعم، وهو الفارق بين الإنسان والحيوان، ولذا كانت المحافظة على العقل من الأمور الضرورية لحياة الإنسان، وبناء الأرض والحضارة.

فأوجب الإسلام الحفاظ عليه، وحدد وظائفه وحدوده لئلا يبحث فيما لا يفيده في دنيا الإنسان وآخرته، وأطلق في الوقت ذاته النظر في ملكوت السموات والأرض ليكتشف هذا الإنسان، ويبتكر كل ما يرجع على حياته بالسعادة والتقدم والرقي.

وتتجلى نعمة الله - عز وجل - على الإنسان بالعقل في أنه ميّز به هذا الإنسان على غيره من المخلوقات، فسخّر له كل ما في السموات وما في الأرض وكلّفه عمارة الأرض وأن يكون خليفة فيها. قال تعالى:

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ﴾ سورة الجاثية الآيات من: (١ - ١١)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۝٣٠ ﴾ سورة البقرة الآية: (٣٠)

كما أن القرآن الكريم حدّد المجالات التي يبحث فيها العقل وهي: الكون والنفس والحياة، كما حدد وظائف العقل التي تخدم الإنسان في حياته الدنيا، وتشير له طريق الآخرة وأهم هذه الوظائف:

١ - بالعقل يعرف الإنسان خالقه، ويدبر أموره فيعبده ويوحده. قال تعالى:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ سورة البقرة الآيتان: (١٦٣ - ١٦٤).

٢ - وبه يدرك هذا الإنسان صدق الأنبياء والمرسلين فيما دعوا إليه من عبادة الله وتوحيده، ومكارم الأخلاق فيدل عليه الاقتداء والتأسي بهم. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الحديد الآية: (٢٥).

٣ - وبه يوقن هذا الإنسان أنه راجع إلى ربه لا محالة، ومجزي على عمله بالسوء سوءاً وبالإحسان إحساناً. قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة المؤمنون الآية: (١١٥)

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الزلزلة الآيات: (٦ - ٨).

٤ - وبه يفهم هذا الإنسان التكاليف الشرعية المكلف بها من الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم فيؤديها وهو على يقين وبينة من أمره. قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة ص: الآية (٢٩)، وعلى المسلم أن يتحاكم من كتاب ربه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - الأحكام التشريعية المناسبة لكل ما هو طارئ وجديد في الحياة. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (٨٣).

٥ - وبه يكتشف هذا الإنسان النواميس والسنن التي تحكم هذا الكون، ويعمل جاهداً على توظيفها فيما ينفعه وغيره من الأحياء. قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة يس الآيتان: (٣٦ - ٣٧).

٦ - وبه أرسل الأنبياء وأنزل الكتب، وبه حاجج المحاجون، فقطعوا بذلك عذر من عاند من بني آدم - تبارك وتعالى -.

قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ... ﴾ سورة النساء الآية: (١٦٥).

* المجالات المحظورة على العقل:

وإذا كان للعقل مطلق التفكير والنظر في النفس والكون والحياة، فلا مناص من التنويه والتنبيه في هذا المقام إلى أن هناك مجالات يُحظر على العقل الدخول فيها، وهي:

١ - التفكير في ذات الله، إذ العقل أعجز من أن يحيط بنفسه فضلاً عن أن يحيط بالله - سبحانه وتعالى - قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ سورة الأنعام الآية: (١٠٣).

٢ - تحديد وتعيين أسماء الله الحسنى، وصفاته العلياء فإن العقل لم ير الله فكيف يحدد ويعين هذه الأسماء وتلك الصفات؟ إنَّ الوحي - كتاباً وسنةً - هو الذي يحدد ويعين ذلك.

٣ - معرفة الغيب، فعلمه لله وحده، ويعرفنا الله بعضه بطريق الوحي إلى الأنبياء - عليه السلام - ومن الغيب الذي نجهل كثيراً من تفاصيله اليوم الآخر والجنة والنار، وعذاب القبر أو نعيمه، كل ذلك من الغيب الذي لولا إخبار الوحي لم نعلم عنه شيئاً، فنؤمن به كله ولا نحكم العقل فيه.

* طرق صيانة العقل والمحافظة عليه:

عدَّ الإسلام الحفاظ على العقل من الضروريات الواجبة، وسلك في طريق ذلك أمورًا، أهمها:

١ - تحريم كلِّ ما يكون سبباً في إذهاب العقل أو الحيلولة بينه وبين التفكير السليم مثل قليل المسكرات، والمخدرات وكثيرها على اختلاف أسمائها، وكثرة أنواعها.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ سورة المائدة الآيتان: (٩٠ - ٩١).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[1].

٢ - تحريم الاعتداء على الإنسان بكل ما يكون سبباً في إذهاب العقل، أو تعطيله عن التفكير السليم، واعتبار ذلك جناية تساوي القتل. حيث لم يختلف الفقهاء في وجوب الدية الكاملة في إذهاب العقل، مبررين ذلك بأنه من أكبر المعاني قدراً وأعظمها نفعاً، به يتميز الإنسان ويعرف حقائق الأشياء، ويهتدي إلى مصالحه، ويتقي ما يضره ويدخل في التكليف»[2].

«كما ذهبوا إلى أنه إذا تسبب إنسان في نقص عقل غيره نقصاً معلوماً بالزمان، كأن صار يجن يوماً، ويفيق يوماً، تعذر من الدية بقدر ذلك»[3].

٣ - تحريم عبادة الأوثان، والسجود لغير الله ومقاومة ذلك كله بكل الأسباب والوسائل الممكنة الملائمة، من منطلق أن ذلك انحدار في التفكير، وتعطيل للعقل، وإهدار لكرامة الناس.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۖ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الرعد الآية: (٣٦).

٤ - البعد عن المعاصي صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، مع الترفع عن التفكير في سفاسف[4] الأمور، ودنايا الأخلاق، فإن هذه تصيب العقل بالجمود والتبلد، وهذا عكس وظيفته.

٥ - الإقبال على الطاعات فرائض ونوافل - وترويض العقل على مواصلة التفكير في كل ما يعود على البشرية بالنفع والخير. فإن ذلك ينير العقل وينميه مع ترك البدع والخرافات والخزعبلات والتسلح بسلاح العلم الذي ينير للعقل الطريق.

ومن هذا كله ندرك عظمة الخالق الذي أودع هذا الإنسان العقل، ولولاه لكان الناس كالبهائم والحيوانات، ولما حقق الإنسان هذا التقدم وهذا الرقي، فشكرنا لله واجب على هذه النعمة العظيمة.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأشربة - باب النهي عن المسكر ٤/ ٨٧، رقم ٣٦٨١، والترمذي في السنن كتاب الأشربة باب ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام ٤/ ٢٥٤، رقم ١٨٦٥، وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث جابر.

(٢) حاشية ابن عابدين ٥/ ٣٦٩ بتصرف.

(٣) المغني لابن قدامة ٨/ ٣٥ - ٣٨ بتصرف.

(٤) السفاسف: جمع سفسف، وهو الردي، الحقير من كل شيء. ينظر المعجم الوسيط ١/ ٤٣٣.

التقويم

س ١ - أكمل الجمل التالية بعبارات مناسبة:

أ - نعم الله تعالى على الإنسان لا تعد ولا تحصى، ومن أجلها نعمة العقل لأسباب عديدة منها:

- .....
- .....

ب - تحدد وظيفة العقل في أمرين هما:

- .....
- .....

جـ - من المجالات المحظور على العقل التفكير فيها ..... و .....

و .....

س ٢ - بم تعلل:

أ - تحريم الإسلام لعبادة الأوثان.

ب - العقل حجة الأنبياء يوم القيامة.

جـ - العقل لا يعلم أسماء الله وصفاته.

س ٣ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - للفقهاء رأي في مسألة الاعتداء على عقل الإنسان... بين هذا الموقف موضحاً مبرراته.

ب - اذكر مجالات عمل العقل البشري، مستدلاً على كل مجال منها.

جـ - ما طرق صيانة العقل والمحافظة عليه التي شرعها الإسلام؟

د - ارجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، واحصر عدد المواضع التي ذكر فيها العقل.

س ٤ - قدم نصيحة لمتعاطي الخمور والمخدرات مقنعاً إياه بخطرها على العقل والفكر البشري.

الدرس الثالث

الإسلام يدعو إلى التفكير الصحيح و ينهى عن التقليد

تمهيد:

الإسلام يحترم العقل، ويطلق له مجال التفكير واسعاً، هذا مما لاريب فيه، ولكن العقل إذا انطلق في التفكير دون منهج ودون حدود، فإنه يضل، وقد يعود هذا التفكير عليه بالضرر والدمار، لهذا الإسلام خصائص التفكير الصحيح، فجعل منه تفكيراً صحيحاً وغير صحيح، فالتفكير السليم الصحيح يكون فيما يلي:

١ - أن يكون في مجاله، فإن دخل مجالاً غير مجاله كان غير صحيح وسبق بيان المجالات المباحة والمحظورة على العقل.

٢ - وأن يكون قائماً على الدليل:

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ... ﴾[1]

٣ - وأن يكون الهدف منه الإصلاح لا الإفساد، والإسعاد لا الإشقاء، فالتفكير الذي ينتج ما يضر بالإنسان تفكير غير صحيح.

* دعوة القرآن والسنة إلى التفكير الصحيح (النظر والاجتهاد):

وجاءت آيات كثيرة في كتاب الله، وأحاديث شتى في سنة النبي ﷺ تدعو إلى التفكير الصحيح (النظر والاجتهاد) وتحث عليه، وتدعو من شأن أهله وتجعله عبادة منها قوله تعالى:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة النساء، الآيات من (٨٠ - ٨٣)

---

(١) سورة البقرة الآية (١١١)، سورة النمل الآية (٦٤)

وقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾ سورة الحشر الآية: (٢) وقد علّم النبي ﷺ أصحابه كيف يقيسون المسألة على ما يشبهها من المسائل.

فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنّ أمّي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «نعم حجّي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحقّ بالوفاء»[1].

فعلّم رسول الله ﷺ المرأة: كيفية قياس حقّ الله وهو (الحج) على دين العباد وحقوقهم. وعن عائشة بنت أبي بكر الصديق، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنهم - أنّ النبي ﷺ مرّ بقوم يلقّحون[2] فقال: «لو لم تفعلوا لصلح» فأتوا فخرج شيصاً[3]، فمرّ بهم، فقال: «ما لنخلكم؟» قالوا: قلت: كذا وكذا، قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم»[4]. فأراد النبيّ ﷺ أن يرشدهم في هذا الحديث: إلى أنّ مثل هذه الأمور المتعلقة بالحياة الدنيا، وعمارة الأرض، لا يحتاج إلى وحي منقول من كتاب أو سنة، وإنما يتوصل إليها بالخبرة، والممارسة، ويكفي أن يشير الشرع إلى أهمية الزراعة وجزيل ثوابها، ولا يصح للمسلم أن ينتظر مجيء نصوص تعلمه أنواع الشرقة، وما يلائم هذا الزرع أو ذاك، أو كيف يزرع، أو كيف يقاوم الحشرات الضارة ونحوها، بل عليه أن يبحث عن ذلك بنفسه، ويسترشد بخبرة من سبقه، ويبني عليها، ويحاول أن يعدل فيها ما استطاع إن احتاج الأمر إلى تعديل، وقد أرشد القرآن الكريم إلى أهمية الحديد في قوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ... ﴾ سورة الحديد الآية: (٢٥)، مكتفياً بهذه الإشارة، تاركاً للعقل أن يفكر في كيفية إذابته وتشكيله والاستفادة منه في شئون الحياة.

* موقف المسلمين قديماً من الدعوة إلى التفكير الصحيح (النظر والاجتهاد):

لم يقف المسلمون قديماً من الدعوة إلى التفكير الصحيح (النظر والاجتهاد) موقف الجامد أو المتقاعس، بل بحثوا واجتهدوا ضمن قوانين دقيقة رسموها لأنفسهم من خلال ما فهموه من ضوابط التشريع، فخلّفوا وراءهم ثروة هائلة في علوم شتى كالتفسير وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، والفقه، والأصول ونحوها مما يعدّ بحقّ مفخرة الأمة الإسلامية.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب جزاء الصيد: باب الحج والنذور عن الميت رقم (١٩٥٣) - ٣/ ٩٩ - ٢٣.

(٢) التلقيح: وضع طلع الذكر في طلع الأنثى، وقيل: هو شق الحمل أول ما يشق. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٧٤.

(٣) الشيص: التمر الذي لا يشتد نواه، ويقال: رطب لا يكون له حبّ أصلاً. النهاية ٢/ ٥٤٥.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل: باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي ٤/ ١٨٣٦ رقم ١٣٦٣ بهذا اللفظ.

وأضافوا إلى العلوم المبنية على النقل علوماً أخرى جديدة تتعلق بعمارة الأرض في الطبّ، والهندسة، والملاحة وشؤون الدار، وطبقات الأرض، والنبات، وغيرها. وكانت إسهامات علماء المسلمين في العلوم عظيمة، استمرت تدرس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر، وما زال بعضها من المراجع المهمة حتى اليوم. ومن هؤلاء العلماء:

أبو بكر الخوارزمي في علم الجبر مؤلف كتاب: «الجبر والمقابلة».

والحسن بن الهيثم في علم الفيزياء مؤلف كتاب: «المناظر».

وأبو بكر الرازي مؤلف كتاب «الحاوي» في الطب، جمع فيه صناعة الطب، وكتاب «المنصوري» الذي اشتمل على مباحث التشريح والأدوية والسموم والجراحة.

وابن سينا مؤلف كتاب: «القانون» في الطبّ[1]

* موقف الإسلام من الاتباع والتقليد:

١ - **الاتّباع**: وذلك ما كان في وجوه الخير، وعن علم ومعرفة. فقد جاء في القرآن قول يوسف الصدّيق للفتيين اللذين كانا معه في السجن: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة يوسف الآية: (٣٨).

وقد مدح الله هذا النوع من الاتباع ودعا إليه وأمر به، فقال للنبي ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ سورة النحل الآية: (١٢٣).

وقال لنا: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية: (٣١).

٢ - **التقليد**: وهو ما يفعله المرء محاكياً فيه غيره دون تفكير، أو علم بحقيقة ما يفعله، وهذا النوع من الاتباع مذموم، لأنه تعطيل للعقل عن وظيفته التي خلقه الله من أجلها. ولذا عاب الله على المشركين تقليدهم آباءهم بغير علم، وجدالهم عن غير هدى. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى

---

(١) الإسلام والعلم التجريبي: الإنجازات العلمية عند المسلمين للدكتور يوسف السويدي ١٢٩ - ٢٠١.

وَلَا كَثِيرٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة لقمان الآيتان: (٢٠ - ٢١). وأمر ﷺ أن يكون للمرء رأيه السديد ونظره المستقل.

عن حذيفة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لا تكونوا إمعة[1] تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطّنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا»[2].

وحذر النبي ﷺ مما سيؤول إليه أمر كثير من هذه الأمة من تقليد غيرهم من الأمم الضالة في كل ضارٍّ وقبيح، دون تعقل أو تدبر.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن[3] الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم». قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن»[4].

وجعل الله هذا الصنف من الناس في مرتبة أسوأ حالاً من المخلوقات التي لا تعقل كما جعل مثواهما النار، وبئس القرار. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ سورة الأعراف الآية: (١٧٩).

وهكذا نرى بوضوح كيف احترم الإسلام العقل واحترم تفكيره إذا كان مثمراً ومنتجاً ما ينفعه في حياته وآخرته، وما يكون سبباً في عمارة الأرض وإشاعة الخير وتحقيق سعادة الإنسان.

---

[1] الإمعة: بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رأي له فهو يتابع كل أحد على رأيه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٤٢.

[2] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو ٤/ ٣٥٠ رقم ٢٠٠٧، وقال: هذا الحديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

[3] السنن: جمع سنة وهي الطريقة. انظر: المعجم الوسيط ١/ ٤٥٩.

[4] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى رقم ٦٩٤٩ ٤/ ٢٠٥٤.

التقويم

س ١ – أجب عن الأسئلة التالية:

أ – ما خصائص التفكير الصحيح؟

ب – «الإسلام دين النظر والاجتهاد». هات دليلاً من القرآن الكريم، وآخر من السنة النبوية يؤكد صحة هذه العبارة.

جـ – اكتب مذكرات مختصرة حول ثلاثة من علماء المسلمين الأوائل في مجال العلوم المختلفة وإنجازاتهم.

س ٢ – قال ﷺ: «لا تكونوا إمعة: تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا...».

أ – أكمل الحديث الشريف.

ب – ما الفكرة الرئيسة التي يدعونا إليها الحديث الشريف؟

س ٣ – شبّه القرآن الكريم من يهدر نعمة العقل بأنه أسوأ حالاً من المخلوقات غير العاقلة.

أ – اكتب أية قرآنية دالة على هذا المعنى، ثم ابحث عن تفسيرها في أحد التفاسير وسجله في كراستك.

ب – التقليد نوعان: * اتباع: وهو ما كان في .....

* تقليد: وهو ما يفعله: .....

س ٤ – وضّح موقف المسلمين قديماً من الدعوة إلى التفكير الصحيح(النظر والاجتهاد).

س ٥ – تعرض المؤلف محمد أبو زهرة في كتابه (أصول الفقه) إلى الاجتهاد بصورة شاملة، اقرأ هذا المبحث، وقدّم فيه بحثاً لأستاذك.

المسلم مكلف بالتفكير في الكون للوصول إلى الإيمان بالله - تعالى -

تمهيد:

العلماء أقرب الناس إلى الإيمان بالله لأنهم أكثرهم علماً وأعمقهم فهماً وفكراً فيما حولهم من الآيات الكونية.

* بعض الشواهد الدالة على وجود الله - تعالى -:

التفكير في خلق الله - تعالى - من أقرب وأعمق السبل للإيمان بالله الخالق المبدع، هذا الكون الفسيح ذو النظام الدقيق، هذه المخلوقات المختلفة، هذه الأرض والجبال والشجر والدواب، هذا الإنسان المخلوق العجيب. كل هذه آيات تدعونا للتفكر والتدبر، وهو يقودنا حتماً إلى الإيمان وتصديقه، ولذلك كان العلماء هم أقرب البشر فهماً وإدراكاً للإيمان بالله - تعالى -، ولننظر إلى بعض عجيب خلق الله:

بعض الشواهد الدالة على وجود الله تعالى:

١ - الهواء: ذلك الجسم الرقيق الذي لا يُرى والذي يعدُّ مادة الحياة للأحياء، لا يستغني عنه بشر ولا كائن حيٌّ، كما يعدُّ مساعداً للإنسان على تيسير سبل العيش والانتقال من مكان إلى مكان ويقوم بمهمة تلقيح النباتات وقت الإزهار كما قال سبحانه: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [سورة الحجر الآية: (٢٢)].

وهو كذلك يحمل أعتى الثلاثات العملاقة الطائرة التي أصبحت أسرع وأمتع وسيلة ينقل فيها البشر من أقصى الأرض إلى أقصاها، كما يحمل أيضاً آلاف الأطنان من المياه عبر الغيوم التي هي جبال متراكمة كما تتراءى للناظر عندما يكون في الجو، ثم تساق هذه الغيوم إلى أرض بعيدة تفرغ فيها ماءً يحيي العباد والبلاد، فينبت الكلأ، ويكون سبباً في الخير لكل كائن ولكل حيّ.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة الروم الآية: (٤٦)]. والهواء من آيات الله تعالى ينتقم به من الكافرين المكذبين والمعاندين وينصر به الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من المؤمنين الصالحين كما حدث لعاد قوم هود إذ كذبوا بآيات الله، واغتروا بقوتهم، فالقين: من أشد منا قوة فأهلكهم الله بالريح، ونصر هوداً ومن

معه من المعجزات. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة فصلت الآيات: (١٥ - ١٦).

وتتوالى الأسئلة: من ينشئ هذا الهواء؟ ومن الذي يسوقه بقدر؟ ومن الذي يحدُّد وجهته وغايته؟ ومن الذي يحمِّله ما يحمل؟ ومن الذي يجعله حياةً أو موتًا؟ ومن ... ومن...؟ لا أحد يقدر على ذلك كله إلا الله رب العالمين، فكان الهواء شاهدًا على وجود الله وكماله.

٢ - الجلد: وهو الغلاف الخارجي للجسم، وهو وقاية لما يغلفه، ويساعد على حفظ الحرارة، ويتخلص الجسم من بعض نفاياته جزئيًا في العرق، ويفقد الجلد قدرًا من الأدهن الفسفوجية تساعد على تكوين فيتامين (د) من عناصر تحت الجلد، وإفراز الغدد الدهنية يرطب سطح الجسم ويقيه. ويتكون الجلد من طبقتين: البشرة والأدمة.

* البشرة: تتكون من عدة طبقات من الخلايا الظهارية، وتموت الخلايا السطحية، فينفضها الجسم عنه، وتعوضها الخلايا العميقة بخلايا سطحية جديدة، وهكذا.

* الأدمة: وهي تحت البشرة، وبها حبوب الصباغ الأسود المعروف بالميلانين الواقي من الإشعاعات الضارة.

وكثافة الميلانين تكون سببًا في لون الجلد، وبها جويصلات الشعر ومنابته، باستثناء باطن الكفين والقدمين، وبها الغدد الدهنية، وقنوات عدد العرق، ونهايات الأعصاب المختصة بالإحساس بالبرودة والحرارة والضغط.

ومن هنا كان الجلد مناط الإحساس بالألم، فإذا هلك بكل طبقاته فإن الطبقات التي تليه قد تشويها النار حتى تفحمه، ولكن دون أن تحس بالألم، ولهذا قال - سبحانه وتعالى - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (٥٦).

* أنواع الأدلة الكامنة في المشاهد الكونية والناطقة بوجود الله:

يقول العلماء: إن الأدلة الكامنة في المشاهد الكونية والناطقة بوجود الله تتنوع إلى أربعة أنواع:

١ - دليل الإبداع: فقد خلق الأرض والسموات وما بينهما على غير مثال سبق، وهو بهذا ينبغي أن يعبد فلا يجحد، ويشكر فلا يكفر، ويطاع فلا يعصى.

قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ سورة الأنعام الآية: (١٠١)

٢ - دليل العناية والنظام: حيث جعل كلَّ شيء في هذا الكون يجري في مساره بعناية تامة ونظام بديع.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة يس: الآيات: (٣٣ - ٤٤).

٣ - دليل الهداية: حيث هدى كل مخلوق ولو كان غير عاقل لوظيفته ومهمته التي خلق من أجلها وهذا الدليل هو الذي رد به نبي الله موسى - عليه السلام - على فرعون عدم سأله وأخاه هارون: ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة طه الآية: (٤٩)

فأجاب: ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ سورة طه الآية (٥٠) وذكره رب العزة - سبحانه في سورة الأعلى الآيات من (١ - ٣) قال: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾

٤ - دليل التغير والحدوث: حيث يرى الناظر طلوع الظواهر الكونية وأفولها باستمرار من ليل ونهار وقمر، ونجوم، وشمس، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الخالق الواحد الذي لا يعتريه أفول، ولا تغير ولا نقصان، وهذا الدليل استعمله إبراهيم - عليه السلام - في محاجة قومه، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩ ﴾ سورة الأنعام الآيات من: (٧٥ - ٧٩).

* خصائص الإيمان القائم على التفكير في مخلوقات الله - تعالى -:

وأخص ما يميز الإيمان القائم على التفكير في مخلوقات الله - تعالى - أنه ثابت قوي، لأنه ثمرة تأمل طويل، وتفكير عميق، وربط دقيق بين الظواهر الكونية التي تحيط بالمرء هنا وهناك، وتفرض نفسها عليه فرضاً. قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١ ﴾ سورة الذاريات الآيتان: (٢٠ - ٢١). وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ... ﴾ سورة فصلت الآية: (٥٣). ولهذا بدأ الأنبياء والمرسلون رحلتهم في عبادة الله ومعرفته والدعوة إليه بالتأمل والتفكير في الكون على نحو ما تقدم عن إبراهيم - عليه السلام - وعلى نحو ما أثر عن نبينا محمد ﷺ من التعبد في غار حراء قبل البعثة يتأمل في عجائب الملك والملكوت حتى جاءه الوحي هناك. تقول عائشة - أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد ... الحديث[1].

وبعد هذا كله لنا أن نسأل أنفسنا: هل عرفنا التفكير في خلق الله - تعالى - واعتدنا بأنفسنا النظر إلى السماء وإلى النجوم وإلى البحر وإلى كل مخلوق من مخلوقات الله من حيوان أو حشرة لننظر في خلقه؟ ثم نسأل أنفسنا من خلق هذا؟ من صوره؟ ونظم هذا الكون؟ منطق عقولنا وجوارحنا وقلوبنا: إنه الله الخالق العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري: (٣) في الصحيح كتاب بدء الوحي باب: كيف كان الوحي إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

التقويم

س ١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - في هذا الكون أدلة كثيرة على وجود الله - تعالى - اختر واحداً منها واكتبه مدعماً ما تقول بالدليل العقلي والنقلي.

ب - ما عناصر الإيمان القائم على التفكير في مخلوقات الله - تعالى - ؟

س ٢ - اجعل كل جملة من المجموعة (أ) متصلة بما يناسبها من المجموعة (ب):

- تتنوع المشاهد الكونية الناطقة بوجود الله - تعالى - إلى أربعة أنواع هي:

(أ)	(ب)
الإبداع وهو	كل ما في الكون يجري في مسار خاص به
النظام وهو	كل مخلوق لما هو ميسر له
الهداية وتكون	الخلق على غير مثال سبق
التسخير وهو	طالع الظواهر الكونية وآولها

س ٣ - اقرأ الفصل الثاني من كتاب (العقيدة الإسلامية) للدكتور: عمر الأشقر. ثم سجل في كراستك ما جاء فيه أدلة واضحة على وجود الله - تعالى - وقدرته في الخلق والمخلوقات.

س ٤ - قم بزيارة إلى قسم العلوم بمدرستك لتعزز مفهومك عن أهمية الجلد. مستعيناً ببعض الصور والمجلات العلمية.

المفهوم الثاني

الابتكار والاختراع
والتجديد طريق المجتمع
إلى الرقيِّ والتقدم

البحث العلمي سبيل التنمية والتقدم

تمهيد:

* الأمم الحية النهضة هي التي تجعل البحث العلمي في أولويات منهجها، وهو سبيلها للعزة والسيادة والسعادة، والأمم الخاملة هي التي لا تقدر العلم والبحث قدره، وما من دين أو مذهب حث على البحث والنظر مثل دين الإسلام. وإن تاريخ المسلمين شاهد على ذلك لا ينكره إلا مكابر، كما لا ينكر أحد اليوم أن المسلمين في حال لا يحسدون عليها، فقد سبقتهم الأمم في ميدان البحث والنظر، وملكوا دونهم القوة والسيادة.

ولكم أن تتأملوا: هل نستطيع نحن المسلمين اليوم أن نلحق بركب البحث والحضارة؟ فنقول: نعم لأننا نملك أدوات البحث والمنهج، وهذا يظهر فيما يلي:

١ - الطاقة البشرية:

حيث يصل عددنا - نحن المسلمين - اليوم إلى أكثر من مليار ومائتي مليون مسلم، من مجموع خمسة مليارات نسمة هم سكان المعمورة، يعني: أننا نمثل أكثر من خمس سكان العالم، ولا شك أن أي نهوض أو تقدم حضاري يتوقف أول ما يتوقف على الطاقة البشرية.

٢ - الأرض الخصبة ذات الموقع الجغرافي الممتاز:

ولدينا - نحن المسلمين - أرض خصبة تنبع الكثير من الزروع والثمار، وتضم في باطنها من المواد الخام - ولاسيما البترول - ما يكفي لتشييد صرح صناعي لا نظير له في العالم، فضلاً عن موقعها الجغرافي الذي يتحكم في طرق المواصلات العالمية.

٣ - المنهاج المعصوم الداعي إلى الرقي والتقدم:

وقد حبانا الله - عز وجل - منهاجاً معصوماً - ممثلاً في كتابه سبحانه وسنة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - يدعو إلى الرقي والتقدم في شتى المجالات العمرانية والاقتصادية وغيرها.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ

مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ
ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ
عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة فصلت الآيات من: (٤٠ - ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ سورة النجم الآيتان: (٣ - ٤).

وقال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة القصص الآية: (٧٧).

وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾
سورة هود الآية: (٦١).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[1]. وعن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله... الحديث»[2]. وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين، والصديقين، والشهداء»[3].

٤ - التاريخ العريق والحضارة الزاهرة:

ولنا - نحن المسلمين - تاريخ عريق، وحضارة زاهرة جمعت بين الروح والمادة، فكان لنا إسهام بارز وخفي في ميادين البحث العلمي المتعددة، وفي مجال الاختراع والابتكار، وأدرك ذلك الأعداء قبل الأصدقاء، وما من شك في أن الخلفية التاريخية الأصيلة والإسهام الحضاري الجيد لأي أمة من الأمم كفيل بإقالة عثرتها وتقوية عزيمتها ونفض بطولتها، وحملها على أخذ مكانها تحت الشمس من جديد، تلك هي أهم

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع ٣/ ١١٨٩، رقم ١٥٥٣.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الجهاد، باب في الرمي ٣/ ٢٨ - ٢٩، رقم ٢٥١٣.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في السنن: كتاب البيوع: باب ما جاء في التجار، وتسمية النبي ﷺ - إياهم ٣/ ٥١٥ رقم ١٢٠٩، وعقب عليه بقوله: «هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

الهبات التي وهبنا الله تعالى إياها نحن المسلمين، ومع ذلك نعيش حالاً من التخلف في مجال عمارة الأرض، والبحث العلمي، والاختراع، والابتكار وذلك للأسباب التالية: ١ - عدم الاعتماد على النفس في استغلال الثروات، ٢ - عدم تنظيم الحياة واستغلال الوقت، ٣ - عدم تطوير أساليب التعليم وفق منهج الإسلام، مما جعلنا عالة على غيرنا في كثير من شئون الحياة ولا سيما في المجال التقني، بل نعيش كذلك حالاً من التخلف الخلقي، وإهدار قيم الفضيلة والجمال.

* سبيل المسلمين للبحث والتقدم:

يوم أن كانت أوروبا تغط في نوم عميق، تحارب العلم وتقتل العلماء، وتعد المرأة شيطانًا، كان المسلمون يشيدون الجامعات ومراكز البحث العلمي، ويبنون المستشفيات على أحدث طراز، فلم يعرف الإسلام منذ فجر يومه الأول عداء للعلم والعلماء، بل كان محضًا للعلم وأهله، يحثهم على النظر والبحث قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾[1] ويعلي الله شأن العلماء، فيقول: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ... ﴾[2] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم - لزيد بن ثابت: «تحسن السريانية؟ إنها تأتيني كتب». قال: قلت: لا. قال: «فتعلمها» قال: فتعلمتها في سبعة عشر يومًا»[3].

وفي رواية: أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهممت له كتاب يهود السريانية، وقال: إني والله ما آمن يهود على كتابي». قال: فما مر عليّ نصف شهر حتى تعلمته، وحذقته، وكنت أكتب له إليهم، وأقرأ له كتبهم»[4]، ويجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك الأسوى الكفار أن يعلم الواحد العالم منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة، ولكن هذا التاريخ أصبح من الماضي الناصع، وعلينا أن نصل ماضينا بحاضر مشرق، وسبيل ذلك أن نهتم بعدة أمور منها:

١ - التركيز على التخصص لإيجاد الكفاءات المناسبة لكل تخصص الأمر الذي يثمر تطويرها وتنميتها في مختلف مرافق الحياة.

٢ - توفير محاضن البحث العلمي من إدارات ومعاهد، وتجهيزها بالأدوات اللازمة لحاجتها من آلات وأجهزة ومختبرات ونحوها، وتزويدها بحاجتها من الخبرات والمهارات المتخصصة، ورصد الميزانيات التي تكفل استمرارها وتقدمها.

---

(١) يونس الآية ١٠١ (٢) فاطر الآية ٢٨ (٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٨/ ٦٤٢.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب ٤/ ٦٠ رقم ٣٦٤٥ - ٣٦٤٦، وأحمد في المسند ٥/ ١٨٥، ولا تعارض بين رواية (نصف شهر) ورواية (سبعة عشر يومًا). لعل رواية (نصف شهر) لاحتمال أن يكون قد مر في الابتداء والانتهاء في الأولى وتركهما في الثانية.

٣ - ابتعاث النابهين والموهوبين إلى الخارج لمزيد من الرقي في البحث العلمي، وكسب المهارات والخبرات شريطة رعاية الأصول والضوابط الشرعية عند الابتعاث بحيث يبقى المسلم محتفظاً بدينه وعقيدته.

٤ - توظيف الخبرات التي تعود في المواقع الملائمة، مع توفير أحسن العيش لها، ودوام تقديرها ودعمها إلى الأمام.

ولقد حفل التاريخ الإسلامي بصور عديدة تبرز اهتمام المسلمين بالعلماء النابهين، وتشجيعهم على التخصصات التي يتميزون فيها، وتوفير سبل الإبداع وتفريغهم لهذا التخصص وتأليف الكتب فيه.

وتتكفل الدولة بكامل تكاليف البحث العلمي. وتجزل العطاء للعلماء، ومن أمثلة ذلك أن الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ - ١٠٣٨م) نزيل مصر صاحب التصانيف والتأليف في علم الهندسة، استدعاه الحاكم بأمر الله حاكم مصر وأجزل له العطاء ليقوم بدراساته. وهذا نصر أبو محمد الكندي (ت ٢٩٣هـ - ٩٠٥م) أحد أئمة الحديث أخذه إليه خالد بن أحمد الذهلي أمير بخارى، وأقام عنده وصف له المسند في الحديث. وكانت تكاليف هذا التفرغ على أمير بخارى. ومن صور تفريغ العلماء النابهين ما قام به الخليفة العباسي المأمون حيث أمر الفراء (يحيى بن زياد الديلمي ت ٢٠٧ - ٨٢٢م) - وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب - أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب، وأمر أن يفرد في حجرة من حجر الدار، ووكل به خدماً يقومون بما يحتاج إليه، وصير له الورّاقين يكتبون ما يملي عليهم. وبذل له كل ما يحتاج من أوراق وأدوات الكتابة.

وكان الحكام يشجعون العلماء ويبذلون لهم بسخاء، فلما ألف أبو ريحان البيروني (محمد بن أحمد ت ٤٤٠ - ١٠٤٨) الحكيم والرياضي والفلكي والطبيب واللغوي والمؤرخ كتاب (القانون المسعودي) للسلطان مسعود الغزنوي، أعطاه السلطان حمل فيل من نقود الفضة. ويقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ - ٨٦٨م) أهديت كتاب (الحيوان) إلى محمد بن عبدالملك الزيات فأعطاني خمسة آلاف دينار.

وأهديت كتاب (البيان والتبيين) إلى ابن أبي دواد فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب (الزرع والنخل) إلى إبراهيم بن العباس فأعطاني خمسة آلاف دينار، ولما أهدى أبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ - ٩٦٦م) كتابه (الأغاني) إلى سيف الدولة الحمداني أعطاه ألف دينار. وكان إسماعيل بن أحمد السامانى والي خراسان يعطي الإمام محمد بن نصير الفقيه المروزي (ت ٢٩٤هـ - ٩٠٦م) في كل سنة أربعة آلاف درهم. وكان الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ - ٩٩٥م) يحمل في كل سنة يحج فيها أموالاً طائلة يوزعها على الكتاب النابهين والشعراء والفقهاء، ولا شك أن هذا التشجيع الذي حظي به العلماء كان من أهم أسباب نبوغهم وكثرة عطائهم، والافتخار علمهم[1].

---

(١) العلماء عبدالعزيز للدكتور محمد عبدالعزيز صفحة ٢٢٥ وما بعدها.

التقويم

س ١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - أعطانا الله - تعالى - نحن المسلمين - إمكانات ضخمة، وخيرات كثيرة... اذكر بعضاً منها. ثم اكتب تقريراً مدعماً بالشواهد والأدلة التاريخية حول الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية.

ب - كيف نقاوم حالة الضعف والتخلف التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم؟

س ٢ - اهتم المسلمون بالعلماء النابهين في شتى الميادين، وذلك من خلال التشجيع في كثير من الجوانب - اذكر بعض المواقف التي توضح ذلك التشجيع والاهتمام.

س ٣- ضع علامة (√) مقابل الجمل الصحيحة، مما يلي:

أ - يتوقف أي تقدم حضاري على الطاقة البشرية ( )

ب - تتمتع الدول الإسلامية بعناصر الصناعة الجيدة ( )

جـ - دعا القرآن الكريم أتباعه للعمل من أجل الحياة الآخرة فقط ( )

د - تعتبر قاعدة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من سبل تشجيع البحث العلمي ( )

هـ - رفض الرسول الكريم التعامل مع غير المسلمين في نشر دعوته ( )

س ٤ - اكتب رسالة إلى رجال التربية والتعليم في دولة الكويت توضح فيها سبل تشجيع البحث العلمي وتنميته، وتخريج الكفاءات المتخصصة في جميع الميادين، متبعاً أصول الكتابة العلمية.

الدرس الخامس

رعاية المجتمع المسلم لقدرات ومواهب أفراده

لا يخلو أي مجتمع من قدرات وطاقات علمية ومواهب متميزة، وهذه الطاقات هي ذخيرة المجتمعات، وعماد رقيها وتقدمها، ومجتمعنا المسلم زاخر بهذه القدرات والطاقات في شتى المجالات العلمية، وكثير من هذه الطاقات والقدرات هجرت بلادنا الإسلامية إلى البلاد المتقدمة، حين لم تجد الرعاية والتقدير في بلادها، ولهذا كان لزاماً لنهضة إسلامية أن ترعى هذه الكفاءات والقدرات، وتمهد كافة السبل للاستفادة منها.

ومن أهم هذه السبل:

١ - التعرف على القدرات والمواهب، وما بينها من تقارب أو تفاوت بحيث يسهل تحديد الأسلوب المناسب والوسيلة الفاعلة لتنمية وتطوير هذه القدرات، وتلك المواهب.

٢ - وضع صاحب كل قدرة وموهبة في الموقع الذي يجيد فيه، والعمل الذي يلائمه، فيتحقق بذلك مبدأ «وضع الشخص المناسب في الموقع المناسب».

٣ - عدم إهدار قدرة من القدرات، وموهبة من المواهب، بل ينتفع بها جميعاً، الأمر الذي يعود على الفرد بالاستمرار في نشاطه، ومضاعفة جهده على الإتقان والدقة، وعلى المجتمع بالرقي والتقدم.

٤ - تشجيع أصحاب القدرات والمواهب بحيث يمكن الاستغناء عن العمالة الأجنبية التي قد تحمل معها بعض الأعراف والتقاليد التي تخالف عادات وتقاليد مجتمعنا، أو قد تحمل معها أسباب الانحراف والجريمة.

٥ - القضاء على البطالة والفراغ، الأمر الذي يمكن أن يسهم في القضاء على الجريمة أو يحد من انتشارها.

ولا شك أن هذه الطاقات والقدرات والمواهب تحتاج إلى محاضن ترعاها، وتنمي فيها هذه الملكات والأسرة هي المحضن الأول، والمدرسة هي المحضن الثاني، والمجتمع هو المحضن الكبير الذي يستثمر هذه الطاقات، ويوجهها إلى المجالات التي يحتاجها، ويبذل في سبيل هؤلاء وتنمية مواهبهم كل ما يستطيع من عطاء وتوجيه ورعاية.

ورعاية هذه القدرات والكفاءات لها جانبان متكاملان في نظر الإسلام:

أ - الجانب الذاتي: وينبع من الفرد نفسه، ونوجزه في:

١ - أن يرى هذا الفرد أن عليه تبعة ومسئولية رعاية قدراته ومواهبه لينمي بها نفسه وقرابته وأمته ومجتمعه ودولته، إذ يقول رب العزة - سبحانه - ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة الحجر الآيتان: (٩٢ - ٩٣) ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عنه أبو برزة الأسلمي: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[1].

٢ - أن يبذل أقصى ما في وسعه وطاقته في العمل من أجل عمارة الأرض مع يقينه أن ذلك عبادة يثاب عليها من الله - عز وجل - أعظم المثوبة، وأن يحرص على ونته، مع تنظيم استغلال هذا الوقت، وتوظيفه توظيفاً حسناً صحيحاً.

٣ - أن يحرص كذلك على الكسب الحلال مع الإنفاق المنضبط بضوابط الشرع الحنيف.

٤ - أن يكون حسن الخُلق مع الخَلْق إيجابياً نحوهم بحيث يثمر ذلك محبة الناس له وبرهم به، ومنحه ما لديهم من خبرات وتجارب.

٥ - أن يكون حريصاً على الاستزادة من العلم بالبحث والتنقيب والسؤال والمحاورة ونحوها، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ سورة طه الآية: (١١٤) وقال كذلك: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة النحل الآية: (٤٣)، سورة الأنبياء الآية: (٧)

٦ - أن يتحلى بالإخلاص، ودوام الفكر والذكر والدعاء ومحاسبة النفس، والتوبة والاستغفار ونحوها من كل ما يكون سبباً في محبة الله له، وعونه وتأييده، ونصره. وجماع هذا كله أن يجعل النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - قدوته.

ب - الجانب الاجتماعي ونوجزه في:

١ - أن يتخذ المجتمع من التدابير والوسائل ما يتعرف به قدرات كلّ فرد من أفراده ومواهبه، فيسهل عليه تحديد أفضل السبل للتعامل مع هذه القدرات وتلك المواهب، والرقي بقدرات ومواهب كلّ فرد بما يناسبه، وبكلّ الأساليب والوسائل الممكنة فمرة بالتدريب، ومرة بإسناد المسئوليات، ومرة بالمسابقات، وهكذا.

---

(١) رواه الترمذي: في أبواب صفة القيامة فقال عنه: حديث حسن صحيح.

وأن يحرص على مداواة الأخطاء التي تقع من الأفراد ومعالجتها متبعاً في ذلك أفضل السبل لئلا يستفحل الخطأ، فيقضي على القدرات والمواهب الإيجابية.

٢ - أن يفتح أبواب الخير أمام كل فرد من أفراده لتحصيل الأجر والمثوبة من ناحية، وللمشاركة في رقي المجتمع، والنهوض به من ناحية أخرى. وأن يعلم كل فرد من أفراده أن يكون إيجابياً مستقيماً في سلوكه وفكره يسعى لفعل الخير، وإن لم يكتفِ عنده مادياً، ولا يقابل السيئة بمثلها، بل يقابلها بالحسنة، قال تعالى:

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية: (١١٥).

قال تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة فصلت الآيات من (٣٠-٣٦).

٣ - أن يحفظ لكل فرد كرامته وحرمته في دمه وماله وعرضه كي يأمن بعضه.

٤ - أن يخص الموهوبين والنابهين بمزيد من العناية والرعاية بما ينمي قدرات كل منهم ومواهبه، ويسر سبل الإفادة الكاملة من هذه القدرات والمواهب.

٥ - أن يغرس في نفوس كل أفراده محبة الله ومراقبته، والنزول على حكمه في كل ما يأتون، وما يدعون، كي يكون ذلك سبباً في تنمية قدراتهم ومواهبهم من ناحية، وإجادة وإتقان الأعمال والواجبات التي تسند إليهم من ناحية أخرى، فيراقبون الله - تعالى - في السر والعلن.

٦ - أن يغذي روابط الأخوة فيما بين أفراده ليعين بعضهم بعضاً على تخطي العقبات والصعوبات، وليتقل بعضهم إلى بعض خبراته وتجاربه، وليحفظ كل منها لأخيه كرامته وحرمته في دمه وماله وعرضه، وفي الحديث: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين ... ح ١٤٩٩ برقم ٦٥٨٦ عن أبي موسى الأشعري.

التقويم

س ١ - أكمل الجمل التالية بالعبارات المناسبة:

أ - يتحدد دور الدولة السليمة في اكتشاف قدرات أفرادها ومواهبهم في:

١ - .....

٢ - .....

٣ - .....

ب - من واجب الفرد تجاه ذاته أن يجتهد طاقاته لعمل الخير وأن:

١ - .....

٢ - .....

٣ - .....

س ٢ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - الإنسان مخلوق متميز عن غيره من الكائنات في خصائص القدرات والمواهب.

اشرح هذه العبارة مستشهداً ببعض الآيات.

ب - وضح كيف يبني المجتمع طاقات وقدرات ومواهب أفراده.

جـ - اكتب تقريراً تقترح فيه أسلوباً من أساليب رعاية الموهوبين والنابغين في الدولة.

س ٣ - ضع علامة (√) مقابل العبارات الصحيحة فقط فيما يلي:

أ - تعتبر عملية تدريب ورعاية مواهب الأفراد في المجتمع مسئولية فردية. ( )

ب - استثمار أوقات الفراغ استثماراً جيداً وسيلة من وسائل حماية المجتمع. ( )

جـ - الإخاء سمة ضرورية لبناء المجتمع الصالح. ( )

د - للفرد المسلم الحرية المطلقة في الإنفاق والكسب. ( )

س ٤ : قم برحلة عملية إلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ثم سجّل ملاحظاتك حول أهداف هذه المؤسسة ومخرجاتها للدولة.

المفهوم الثالث

«المسلم متمسك بشرع
الله تعالى، يجتنب الحرام،
ويمارس ما طاب له من
الحلال»

الحلال والحرام كله شرع الله

الحلال والحرام قاعدة مهمة أساسية، تقوم عليها الحياة بأسرها، فتنضبط بها التشريعات والعقوبات، وصلاح الناس وفسادهم، وبها تستمر الحياة وتستقيم مصالح العباد الدينية والدنيوية.

ولا بد للبشر من تشريعات وقوانين تنظم حياتهم وأمور معاشهم، وخالق البشر أعرف بهم، وأدرى بأحوالهم الظاهرة والباطنة، فلم يخلقهم الله - عز وجل - ويتركهم هملاً، بل أنزل الله - عز وجل - شرائعه وأحكامه، وأمر خلقه بالتمسك بها والتزامها.

وقد شرع الله لخلقه ما يناسبهم، فهو - سبحانه وتعالى - عليم بخلقه، وما يصلح لهم فيسعد حياتهم، وما لا يصلح لهم فيشقيهم، فكان لزاما على العباد معرفة الحلال والحرام والتمسك بما شرع لهم خالقهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ سورة الأحزاب الآية: (٣٦).

* التحليل والتحريم حق لله وحده:

كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - هما أصل التشريع في الإسلام، فيهما يعرف الحلال والحرام، وليس لواحد من الناس - أيا كان - حق في أن يحل حراما أو يحرم حلالا، ما لم يكن في هذا دليل من كتاب الله - عز وجل - أو سنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -.

قال تعالى:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ سورة يونس الآيات من (٥٩ - ٦١).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النحل الآية: (١١٦)].

* أقسام الأحكام التكليفية:

الأحكام التي شرعها الله - عز وجل - في كتابه، أو على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وكلّف الناس بها، تنقسم إلى خمسة أحكام: (الواجب، والمندوب، والمحرم، والمكروه، والمباح).

١ - فالواجب: ما أمر به الله ورسوله على وجه الإلزام. كالصلوات الخمس، فيثاب فاعله امتثالاً لأمر الله عز وجل وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ويستحق تاركه العقاب.

٢ - المندوب: ما أمر به الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم لا على وجه الإلزام، كصلوات السنن قبل الصلوات المفروضة أو بعدها. والمندوب يثاب فاعله امتثالاً، ولا يعاقب تاركه. وهو يسمى أيضاً: سنة ومستحبا ونفلاً.

٣ - المحرم: ما نهى عنه الله - عز وجل - أو رسوله - صلى الله عليه وسلم - على وجه الإلزام كعقوق الوالدين. فيثاب تاركه امتثالاً، ويستحق فاعله العقاب.

٤ - المكروه: ما نهى عنه الله - عزّ وجلّ - أو رسوله - صلى الله عليه وسلم - لا على وجه الإلزام مثل أكل الثوم والبصل ثم دخول المسجد.

والمكروه يثاب تاركه امتثالاً، ولا يعاقب فاعله.

٥ - المباح: ما لا يتعلق به أمر ولا نهي لذاته، كالأكل والشرب، والمباح مادام على وصف الإباحة فإنه لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب. ويسمى أيضاً: حلالاً وجائزاً.

* مخالفة تشريع الله عزّ وجلّ عصيان له:

مما لاشك فيه أن مخالفة ما أمر الله به، وإتيان ما نهى الله عنه، عصيان لله - عز وجل -، وتمرد على أحكامه - سبحانه وتعالى -، قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية: (٢٢٩)].

فإذا استحضر الإنسان هيبة الخالق - سبحانه وتعالى - وعظمته وجبروته، فسيرتدع عن المخالفة،

ويحرص على امتثال أوامر الله - عز وجل - واجتناب نواهيه، وهذا يورث لديه وازعاً دينياً يمنعه من الوقوع فيما حرّم الله - سبحانه وتعالى -.

والإنسان بفطرته يدرك هذا المسلك - إذا سلمت فطرته من أدران الشرك وظلمات المعاصي والآثام - وكل ما حرّم الله من الفواحش تنفر منه طبائع البشر السوية، وكلّ ما أحل الله من الطيبات تقرّبه وتستطيبه طبائع البشر، فالإنسان بفطرته مجبول على حب الطيبات وبغض الفواحش.

فإذا ابتعد الإنسان عما حرّم الله - عز وجل - استحق المدح والحبّ من أهله وذويه، وكانت حياته طيبة كريمة، وشهد له الناس في حياته وبعد مماته بالخير والصلاح، وهذه هي السعادة. وأما إذا ارتكب الإنسان ما حرّم الله - عزّ وجلّ - واقترف الفواحش والمعاصي، استحق الكره والبغض من أهله وذويه، وكانت حياته كريهة ممقوتة، وشهد الناس عليه في حياته وبعد مماته بالشر والفساد، وهذا هو الشقاء في الدنيا، ثم العقاب في الآخرة.

* أثر الالتزام بحدود الله في الفرد والمجتمع:

المسلم المتمسك بشرع الله - عزّ وجلّ - في الحلال والحرام، يتحرى الحلال في مأكله ومشربه، وفي بيعه وشرائه، وفي كل مجالات الحياة. ويبتعد عما حرّم الله - عز وجل - من مأكل ومشرب، وبيع وشراء، وفي كل مجالات الحياة، ومن رحمة الله عز وجل أن أحل للناس الطيبات، وحرم عليهم الخبائث وما فيه ضررهم.

قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ ﴾ سورة الأعراف الآية: (١٥٧)

وعندما يتمسك الفرد بحدود الشرع، فإنه يحقق العبودية لله - عزّ وجلّ - وهذا يحقق له الاستقرار النفسي والسكينة والاطمئنان، فيتحلى بالفضائل ويبتعد عن الرذائل. والفرد لبنة المجتمع، وبالتالي فإن التزام الفرد بحدود ما شرع الله - عزّ وجلّ - من أحكام سيحقق بلا شك للمجتمع بمؤسساته المختلفة الأمن والاستقرار، ويأمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم، ويحافظ المجتمع على مقدراته المادية والعلمية وغيرها. ويظهر نتاج ذلك في كل مجالات الحياة الدينية والدنيوية، وتتقدم أمور معاشه، وتهنأ حياته وتطيب، لأنه يعيش في مجتمع يتكون من أفراد تمسكوا بفضائل الأخلاق والطباع، وابتعدوا عن الرذائل وسوء الأخلاق، فكانوا مجتمعاً متماسكاً كالجسد الواحد القوي.

التقويم

س ١ - أجب عن الأسئلة التالية:

قال تعالى في سورة النحل ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ سورة النحل الآية: (١١٦).

أ - اقرأ تفسير الآية الكريمة السابقة في أحد التفاسير، ثم سجل في كراستك سبب نزول هذه الآية الكريمة.

ب - عم ينهانا الله - تعالى - في هذه الآية الكريمة؟ ولماذا؟

جـ - ما حكم من يتدخل في شرع الله بالتحليل والتحريم دون دليل من الكتاب أو السنة؟

س ٢ - أكمل الجمل التالية بما يناسبها من عبارات:

أ - تنقسم الأحكام الشرعية إلى خمسة أقسام هي:

- الواجب وهو .....

- المندوب وهو .....

- المكروه وهو .....

- المباح وهو .....

- الحرام وهو .....

ب - يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ الحدود المقصودة في هذه الآية هي .....

جـ - الإنسان بفطرته مجبول على حب ..... وبعض .....

س ٣ - بم تعلل:

أ - في الالتزام بحدود الله - تعالى - أمن وأمان للفرد والجماعة.

ب - أصل التشريع في الإسلام القرآن الكريم والسنة النبوية.

س ٤ - اقرأ الفصل الأول من كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) د. يوسف القرضاوي، ثم لخص ما جاء فيه من مبادئ نظم بها الإسلام الحلال والحرام.

س ٥ - اكتب تقريراً حول أقسام الحكم التكليفي، مستعيناً بأحد كتب أصول الفقه.

مما أحله الله - تعالى - وله آثاره الفردية والاجتماعية

المسلم المتمسك بدينه، يتحرى فيما يقوم به من أمور معاشة ما أحله الله وأباحه للناس، ويحرص على أن يكون بعيداً عن كل ما حرمه الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - تحصيلاً للثواب واجتناباً للعقاب لعلمه أن كل مما حرمه الشرع ضار في الحياة أو خطر على استمرارها.

وقد أحل الله - تعالى - للناس في هذه الحياة طيبات لا حصر لها، بل إن الأصل في كل شيء الحل حتى يرد نص بتحريمه، ومن حق الإنسان أن يمارس هذه الطيبات ويستفيد منها. قال الله - تعالى -:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة إبراهيم الآيات: (٣٢ - ٣٤) ومما أحله الله تعالى من المعاملات بين الناس والتي لها آثارها على الفرد والمجتمع (البيع، والشركات، والهبة، وغيرها كثير).

وسنتعرض لهذه المعاملات الثلاث ببيان أحكام الشريعة في كل منها على سبيل الاختصار:

أولاً - البيع:

البيع: هو مبادلة مال بمال، والمراد المال المتقوم، أي كل ماله قيمة في نظر الشرع، وأما غير المتقوم، أي الذي لا قيمة له في نظر الشرع فلا يسمى مالاً، مثل الخنزير والخمر فلا قيمة لهما في نظر الشرع، فلا يجوز بيعهما أو شراؤهما.

حكمة مشروعية البيع:

ومن العقود التي أحلها الله توسعة على عباده، عقد البيع، لحاجة الناس إلى الغذاء الذي تقوى به أبدانهم، وإلى الملابس والمساكن والمراكب وغيرها من ضروريات الحياة ومكملاتها. والبيع هو الطريق الأمثل لحصول الشخص على حاجاته مما في أيدي الآخرين.

والبيع جائز بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقوله تعالى ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾ سورة البقرة الآية: (٢٧٥). وقوله تعالى: ﴿ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ سورة البقرة الآية: (٢٨٢).

وأما السنة:

فقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «البيعان بالخيار ما يفترقا، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»[1].

وقد سئل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أي الكسب أطيب؟ فقال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»[2]، والبيع المبرور هو الذي لا غش فيه ولا خيانة.

وأما الإجماع:

فقد أجمع المسلمون على جواز البيع ومشروعيته، والضرورة تقتضي هذه المشروعية لحاجة الناس إلى البيع. وللبيع أركان وشروط:

* فأركان البيع أربعة:

١ - البائع: وهو صاحب السلعة الذي يرغب في إخراجها من ملكه وإدخالها في ملك المشتري مقابل الثمن.

٢ - المشتري: وهو الذي يرغب في دخول السلعة في ملكه مقابل دفع الثمن للبائع.

٣ - المبيع: وهي السلعة التي تنتقل من ملك البائع إلى ملك المشتري مقابل الثمن.

٤ - الصيغة: وهي الإيجاب والقبول من البائع والمشتري في مجلس العقد، أو ما يدل على ذلك من قول أو فعل كالأخذ والإعطاء..

* وأما شروط البيع:

فيشترط في عقد البيع ما يأتي:

١ - التراضي: فلا يصح بيع دون رضا الطرفين (البائع والمشتري) لقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ سورة النساء الآية: (٢٩). ولقوله صلى الله عليه وسلم «إنما البيع عن تراض»[3].

فإن كان الإكراه بحق، صح البيع، كما لو أكره الحاكم شخصاً على بيع ما يملكه لوفاء دينه، فإن هذا إكراه بحق.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا (٢٠٧٩) ومسلم في صحيحه كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، حديث (١٥٣٢).

(٢) حديث صحيح. أخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٦٦، ٤/ ١٤١، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ١٠.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٢/ ٧٣٧.

٢ - أن يكون كل من المتعاقدين - البائع والمشتري - أهلاً للتصرف، بأن يكونا حرين مكلفين رشيدين، فلا يصح البيع والشراء من صبي ومغفل ومجنون.

٣ - وأن يكون المبيع:

أ - مما يباح الانتفاع به مطلقاً، فلا يصح بيع ما يحرم الانتفاع به، كالخمر، والخنزير، والميتة.

لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله حرَّم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام». فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة، فإنها يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟[1]

فقال: «لا، هو حرام». ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك: «قاتل الله اليهود، إن الله لما حرَّم شحومها، جملوه[2]، ثم باعوه فأكلوا ثمنه»[3].

ب - أن يكون مملوكاً للبائع، فلا بيع ما لا يملك، ولا ما هو شركة بين الناس من الماء والنار والكلأ إلا إذا حازه وملكه.

جـ - أن يكون قادراً على تسليمه، لأن ما لا يقدر على تسليمه شبيه بالمعدوم، فلا يصح بيع ما لا يقدر على تسليمه كحيوان شارد في الصحراء أو طير في الهواء.

٤ - ويشترط في الثمن والمبيع أن يكون كل منهما معلوماً عند المتعاقدين البائع والمشتري، لأن الجهالة غرر، والغرر منهي عنه.

* البيع اللازم والبيع غير اللازم:

يجوز للبائع أو للمشتري أو لهما معاً، اشتراط الخيار مدة معينة تبيح الرجوع في العقد، فيكون البيع غير لازم، لأن الخيار يجيز فسخ العقد. وقد يجد المشتري عيباً في الشيء المبيع بعد تسلمه، فيجوز له فسخ البيع بخيار العيب، فإن علم بالعيب وسكت، سقط حقه في الفسخ. وإذا اشترى شيئاً بالوصف من غير رؤية، فيكون له خيار الرؤية، وهو يجيز له فسخ البيع عن الرؤية.

فإذا لم يكن هناك سبب يجيز فسخ البيع لأحد الطرفين، يكون البيع لازماً، ومعنى ذلك أنه لا يجوز لأحد الطرفين فسخ العقد من جانب واحد بإرادته وحده.

---

(١) يصبح بها الناس: أي يشعلونها في سرجهم ومصابيحهم، ويدهنون بها.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام، حديث (٢٢٣٦) ومسلم في الصحيح: كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر والميتة والأصنام، حديث (١٥٨١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: (١/ ٢٤٧، ٢٩٣، ٣٢٢، والأرقام: ٢٤٨٤).

أما إذا اتفق المتبايعان على فسخ العقد، وتراضيا على ذلك، فيجوز الفسخ؛ لعدم اعتداء أحدهما على حق الآخر، ويسمى رفع العقد والرجوع فيه بهذه الصورة إقالة، وقد رغّب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيها حيث قال: «من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة»[1]. فالإقالة شرعاً: رفع العقد بين المتعاقدين بالتراضي.

* ثانياً: الشركات:

الاشتراك في التجارة وغيرها لايزال مستمراً بين الناس، ويكثر التعامل به، وهو من باب التعاون على تحصيل المصالح بتنمية الأموال، واستثمارها، وتبادل الخبرات. وقد دلّ على جواز الشركة في التجارة وغيرها الكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ... ﴾ سورة ص الآية (٢٤) والخلطاء هم الشركاء، وقد دلت الآية على جواز الشركة، والمنع من ظلم الشريك شريكه.

ومن السنة:

إقراره - صلى الله عليه وسلم - لما كان بين بعض الصحابة من شركة في التجارة، كما كان بين زيد بن أرقم والبراء بن عازب - رضي الله عنهما[2] -.

أقسام الشركة:

الشركة تنقسم إلى قسمين: شركة أملاك وشركة عقود. فشركة الأملاك: هي الاشتراك في استحقاق، كالاشتراك في تملك عقار أو تملك مصنع، أو تملك سيارات، أو غير ذلك. وشركة العقود: هي الاشتراك في التصرف، كالاشتراك في البيع، أو الشراء، أو الإجارة، أو غير ذلك. وهي إما اشتراك في مال وعمل، أو اشتراك في عمل بدون مال، وهي خمسة أنواع:

- النوع الأول: أن يكون الاشتراك في المال والعمل. وهذا النوع يسمى شركة العنان (بكسر العين)، سميت بذلك لتساوي الشريكين في المال والتصرف، كالفارسين إذ سويا بين فرسيهما وتساويا في السير فكان عنانا فرسيهما سواء، وذلك أن كل واحد من الشريكين يساوي الآخر في تقديمه ماله وجده في الشركة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٠)، وابن ماجه (٢١٩٩) - واللفظ له - عن أبي هريرة وصححه.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الشركة، باب الاشتراك في الذهب والفضة وصيغ (٢٤٩٦، ٢٤٩٨) ومسند أحمد (٤/ ٣٧٢).

ومعنى شركة العنان أن يشترك شخصان فأكثر بمالَيهما، بحيث يصيران مالاً واحداً يعملان فيه بنفسيهما، أو يعمل فيه أحدهما ويكون له من الربح أكثر من نصيب الآخر.

ويشترط لصحة شركة العنان أن يشترطا لكل من الشريكين جزءاً من الربح مشاعاً معلوماً كالثلث والربع، لأن الربح مشترك بينهما، فلا يتميز نصيب كل منهما إلا بالاشتراط والتحديد. فلو كان نصيب كل منهما من الربح مجهولاً، أو شرط لأحدهما ربح شيء معين من مال الشركة، أو ربح وقت معين، أو ربح سفرة معينة، فلا يصح في جميع هذه الصور، لأنه قد يربح المعين وحده، وقد لا يربح، وقد لا يحصل غير الدراهم المعينة، وذلك يفضي إلى النزاع وضياع نصيب أحدهما دون الآخر، وذلك مما نهى عنه الشريعة السمحة، لأنها جاءت لرفع الغرر والضرر.

- النوع الثاني: اشتراك في مال من جانب، وعمل من جانب شخص آخر. وهذا يسمى بشركة المضاربة، سميت بذلك أخذاً من الضرب في الأرض، وهو السفر للتجارة، قال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ سورة المزمل الآية: (٢٠)، أي يطلبون رزق الله في المتاجر والمكاسب.

ومعنى المضاربة شرعاً: دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه. وهذا النوع من التعامل جائز بالإجماع، وقد كان موجوداً في عصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقره، والحكمة تقتضي جواز المضاربة بالمال، فالناس بحاجة إليها، لأن الدراهم والدنانير لا تنمو إلا بالتقليب والتجارة. ويشترط لصحة هذا النوع من الشركة تحديد نسبة معينة من الربح تكون للعامل، فيشترط على صاحب المال ثلث الربح أو نصفه أو ما يتفقان عليه بشرط أن يكون لكل منهما نسبة معلومة من الربح. فلو حدد أحدهما لنفسه مبلغاً معيناً بطلت المضاربة وبطل عقدها، لأن الهدف من المضاربة نفع الطرفين، وهذا لا يتحقق باشتراط مال معين لاحتمال ألا يحصل ربح أو يكون الربح قليلاً فيتضرر الطرف الآخر.

- النوع الثالث: اشتراك في التحمل بالذمم دون مال، وهذا ما يسمى بشركة الوجوه، وهي أن يشترك اثنان فأكثر فيما يشتريان بذممهما، وسميت بذلك لأنها ليس لها رأس مال وإنما تبذل فيها الذمم والجاه وثقة التجار بهما. فيشتريان ويبيعان بذلك، ويقتسمان ما يحصل لهما من ربح على حسب الشرط بينهما وما اتفقا عليه، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «المسلمون على شروطهم»(١)، أي ثابتون عليها لا يرجعون عنها.

ومقدار ما يملكه كل واحد منهما من هذه الشركة على حسب الشرط، من مناصفة أو أقل أو أكثر، ويتحمل

---

(١) حديث حسن: أخرجه أبو داود في السنن كتاب القضاء باب في الصلح حديث (٣٥٩٤).

كل واحد من الخسارة على قدر ما يملك في الشركة، فمن له نصف الشركة فإنه نصف الخسارة وهكذا. ويستحق كل من الشركاء من الربح على حسب الشرط من نصف أو ربع أو ثلث لأن أحدهما قد يكون أوثق وأرغب عند التجار وأبصر بطرق التجارة من الشخص الآخر، ولأن عمل كل منهما قد يختلف عن عمل الآخر فتطلع إلى زيادة نصيبه في مقابل ذلك، فيرجع إلى الشرط الجاري بينهما في ذلك.

- النوع الرابع: اشتراك فيما يكسبان بأبدانهما، وهذا ما يسمى شركة الأبدان، سميت بذلك لأن الشركاء بذلوا أبدانهم في الأعمال لتحصيل المكاسب، واشتركوا فيما يحصلون عليه من كسب.

ومثال ذلك الشركة في تلك المباحات، كالاحتطاب، وجمع الثمار المأخوذة من الجبال واستخراج المعادن. وكاشتراك أصحاب دواب أو سيارات على أن يحملوا عليها بالأجر ويكون ما حصلوا عليه من أموال فيما بينهم. وكشركة الدلالين بينهم إذا كانوا يقومون بالأداء على بيع السلع وعرضها وإحضار الزبون، وما يحصل لهم من مال فهو بينهم. وتصح شركة الأبدان ولو اختلفت صنائع المشتركين كخياط مع حداد وهكذا.

- النوع الخامس: شركة المفاوضة، وهي أن يفوض كل من الشركاء إلى صاحبه كل تصرف مالي وبدني من أنواع الشركة. فهي الجمع بين شركة العنان والمضاربة والوجوه والأبدان، أو يشتركون في كل مايثبت لهم وعليهم. ويصح هذا النوع من الشركة، لأنه يجمع أنواعاً يصح كل منها منفرداً، فيصح إذا جمع مع غيره، والربح يوزع في هذه الشركة على ما اشترطوا، ويتحملون من الخسارة على قدر ملك كل واحد منهم من الشركة بالحساب.

* وهذه شريعة الإسلام وشمت داوا الاكتساب في حدود المباح، فأباحت للإنسان أن يكتسب منفرداً أو مشتركاً مع غيره، وعاملت الناس حسب شروطهم ما لم تكن شروطاً جائرة محرمة، مما به يعلم صلاحية هذه الشريعة لكل زمان ومكان.

* ثالثاً: الهبة:

وهي عقد من عقود التبرعات، وموضوعها تمليك الإنسان في حياته ماله لغيره بلا عوض. والهبة والهدية بمعنى واحد، وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يهدي ويُهدى إليه، ويعطي ويعطى. فالهبة والهدية من السنة المرغب فيها، لما يترتب عليها من المصالح، فكلاهما يقصد به توطيد الصلة، وزيادة المحبة والألفة بين الناس. قال - صلى الله عليه وسلم - «تهادوا تحابوا»[1]

---

(1) حديث حسن. أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ١٦٩.

وتحصل الهبة بما يتعارف الناس عليه، من قول أو فعل، أو غير ذلك من أساليب الإهداء. ولا بد في الهبة من الإيجاب والقبول، لأنها عقد. ولا تصح الهبة إلا من كامل الأهلية، فلابد أن يكون الواهب بالغاً عاقلاً رشيداً، لأنها تمليك المالك ماله لغيره دون مقابل. فلا تصح من الصبي - وإن أذن له الولي - إلا فيما جرى العرف بمثله، كأن يهدي الصبي إلى صديقه قلماً مثلاً.

* تمييز بعض الأبناء بالهبة:

نهى الإسلام الأبوين عن تمييز أحد الأولاد بعطية لا يُعطى مثلها بقية الأولاد، لما يترتب على ذلك من إيغار الصدور، وغرس بذور العداوة بينهم، وقد نفّر النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذا الصنيع.

فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة (وهي أم النعمان): لا أرضى حتى تُشهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال: لا. قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم». قال: فرجع، فرد عطيته[1]. وبهذا الحديث حرم بعض الفقهاء حرمان بعض الأولاد، وإعطاء بعضهم، وأغلب الفقهاء كرهوا مثل هذا الفعل لوجود أدلة أخرى عندهم.

* حكم الرجوع في الهبة:

الهدف من تشريع الهبة، نشر المحبة والألفة بين المسلمين، ولا شك أن الرجوع في الهبة يترتب عليه خلاف ما استهدفه الشارع الحكيم - سبحانه وتعالى -، فعادة ما يؤدي هذا التصرف إلى القطيعة والتنافر، فإذا وهب الإنسان هبة وقبضها الموهوب له، حرم عليه الرجوع فيها واستعادتها منه، وقد حذر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الرجوع في الهبة، وصوّر هذا الفعل تصويراً بشعاً ينفّر كل من سمعه من الاقتراب منه، حيث يقول - صلى الله عليه وسلم -: «العائد في هبته، كالكلب يعود في قيئه»[2].

ندل هذا على تحريم الرجوع في الهبة إلا ما استثناه الشارع، وهو الأب، فله أن يرجع فيما وهبه لولده، لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحل لرجل أن يعطي عطية أو يهب هبة فيرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب يأكل فإذا شبع قاء ثم عاد في قيئه»[3].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة، حديث (٢٥٨٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الهبة، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث (٤١٧٤).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة، باب هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها، حديث (٢٥٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب تحريم الرجوع في الصدقة بعد القبض إلا الأب وما يوهب لولده، حديث (٤١٧٣).

(3) حديث صحيح، أخرجه أبو داود في السنن، كتاب البيوع، باب الرجوع في الهبة، حديث (٣٥٣٩).

التقويم

س ١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - عرف البيع؟ وما حكمة مشروعيته؟

ب - وضح حكم البيع في الاسلام

جـ - ما معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - «من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة؟»

د - اذكر الفرق بين شركة العنان وشركة المضاربة.

س ٢ - عرّف المصطلحات التالية:

أ - البيع اللازم، وغير اللازم.

ب - المضاربة.

جـ - الهبة.

س ٣ - بم تعلل:

أ - وصف الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - العائد في هبته «كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه».

ب - نهي الإسلام الأبوين عن التمييز بين الأولاد في العطايا والهبات.

جـ - عدم جواز بيع السفيه والمجنون.

س ٤ - أكمل الجمل التالية بما يناسبها من عبارات:

أ - يشترط في عقد البيع ما يلي:

.....

.....

.....

ب - الشركة قسمان: شركة ..... وشركة .....

جـ - صيغة العقد هي ..... و ..... من البائع والمشتري في مجلس العقد وهي ..... البيع.

س ٥ - ارجع إلى كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) د. يوسف القرضاوي باب (المعاملات) وسجل حكم الإسلام في شركات التأمين.

مما حرّمه الله - تعالى - وله آثاره الفردية والاجتماعية

تمهيد:

من رحمة الله بعباده أنه لما خلقهم لم يتركهم هملاً، بل شرع لهم ما يصلح لهم دنياهم وما به تستقيم أمور معاشهم وحياتهم، فأحلّ لهم الطيبات، وجعل لهم حدوداً وضوابط، بلا إسراف ولا تقتير، وحرّم عليهم الخبائث وما يضر بحياتهم، فهو خالقهم - سبحانه وتعالى - وهو أعلم وأعرف بخلقه.

وارتكاب المحرمات له آثار سلبية على الفرد والمجتمع، منها القلق والاضطراب النفسي الذي يصيب العاصي، ومنها فقد ثقة الناس به، ومنها الفرقة والقطيعة بين أفراد المجتمع، وفوق هذا وذاك سخط الله تعالى وغضبه في الدنيا والآخرة.

وعليك أن تتصور مجتمعاً كثر فيه الزنى والربا والقتل وغيرها مما حرّم الله، هل يأمن الناس فيه على أموالهم وحياتهم وأعراضهم وقد كثرت فيه هذه البلايا، وتسلط فيه القوي على الضعيف، والغني على الفقير؟ سيكون مجتمعاً مفككاً، لا علاقات، ولا صلات، ولا تراحم بين أفراده، لأنهم تعدوا حدود الله، والسيادة فيه للقوي والغني، وعمّت فيه الفوضى، واختفت الآداب، وغاب دور الأسرة، وإذا كان لزاماً على العبد المسلم أن يلتزم بشرع الله - عزّ وجلّ - وبتعد عما حرم الله - سبحانه وتعالى - ليكون بذلك فرداً صالحاً ولبنة مباركة في مجتمع مسلم طبق قوله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً ... ﴾ سورة النحل الآية: ٩٧

ومما حرّمه الله - عز وجل - وله آثاره على الفرد والمجتمع: الربا، والزنى، وشرب المسكرات، وقتل النفس التي حرم الله، والاحتكار، وغير ذلك، مما فيه شر على الفرد والمجتمع. وسنتعرض باختصار إلى الربا والاحتكار والزنى، وبيان أحكام الشرع فيها:

* أولاً - الربا:

وهو من أخطر المحرمات لضرره العظيم على الفرد والمجتمع، وهو من العقود غير المشروعة التي نهى عنها وحرمها الله - تعالى -، وقد دلّ الكتاب والسنة، وأجمعت الأمة على تحريمه بجميع أنواعه.

قال الله - تعالى -:

* وقد جاء أيضاً في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زواجر عن التعامل بالربا، منها:

١ - عده النبي ﷺ من الكبائر الموبقة، أي المهلكة.

حيث قال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1].

٢- وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: «هم سواء»[2].

* الحكمة من تحريم الربا:

الحكمة في تحريم الربا تظهر بما يلي:

١ - يؤدي إلى حصر الثروة في يد فئة قليلة من الناس، هي فئة المرابين، ويحرم الأغلبية منها، مما يؤدي إلى إثارة روح التباغض والتحاسد بين أفراد المجتمع، وبالتالي تفككه وتدهوره.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٥ - ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب ٢٣، حديث (٢٧٦٦) ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، حديث ٨٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله، حديث (١٥٩٨).

٢ - إن فيه إضراراً بالفقراء والمحتاجين بمضاعفة الديون عليهم عند عجزهم عن تسديدها.

٣ - إن فيه قطعاً للمعروف بين الناس، وسداً لباب القرض الحسن، وفتحاً لباب القرض بالفائدة التي تثقل كاهل الفقير، وهذا قطع للألفة والتعاون بين أفراد المجتمع.

٤ - فيه تعطيل للمكاسب والتجارات والحرف والصناعات التي لا تنظم مصالح الناس إلا بها، لأن المرابي إذا انحصر على زيادة ماله بواسطة الربا بدون تعب فلن يلتمس طرقاً أخرى للكسب الشاق.

* أقسام الربا:

الربا في اللغة معناه الزيادة وهو في الشرع: زيادة في أشياء مخصوصة بلا مقابل، وينقسم إلى:

١ - ربا النسيئة: هو الزيادة المشروطة على قدر الدَّين في مقابل الأجل وتأخير السداد، لأن الأجل ليس مالاً، فلا يصح أن يكون في مقابله مال، فإذا دفع المدين مالاً زائد عند السداد في مقابل هذا الأجل كان مالاً بغير مقابل، فيكون حراماً.

فلا يجوز أن تقرض شخصاً مالاً قدره خمسون ديناراً مثلاً، على شرط أن يعيدها إليك بعد شهر مثلاً ستين ديناراً، فما زاد عن الخمسين فهو الربا المحرم.

٢ - ربا الفضل: هو مأخوذ من الفضل وهو الزيادة في أحد العوضين وقد نص الشارع على تحريمه في ستة أشياء هي: الذهب، والفضة، والبُرّ[1]، والشعير، والتمر، والملح.

ويقاس أو يلحق بهذه الأصناف ما كان من جنسها، فمن أراد أن يبيع أحد هذه الأصناف الستة، أو ما كان من جنسها فلا يجوز أن يبيعها بمثلها مع الزيادة في أحدهما، فقد حرّم النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك في قوله: (الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء)[2].

وهذا الحديث يفيد عدم جواز بيع شيء من هذه الأصناف بمثله مع زيادة في أحدهما، كما يشترط عند البيع التقابض في المجلس إذا تساويا في الوزن. فقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (يداً بيد) يفيد عدم جواز التأجيل في بيع أحد هذه الأصناف ببعضها.

فمثلاً إذا أرادت المرأة أن تبيع حليها من الذهب، فلا يجوز أن تعطيه الصائغ وتأخذ غيره مع اختلاف

---

(١) البُرّ: القمح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، حديث (٨١٤).

الوزن، ثم تدفع الزيادة إذا كان ذهبها قيمته ووزنه أقل، والواجب عليها أن تبيع ذهبها أولاً وتستلم ثمنه، ثم تشتري بهذا الثمن ما تريد من ذهب، لئلا تقع في المحظور الذي معه الحديث الشريف.

* بعض المعاملات الربوية المعاصرة:

١ - القرض بالفائدة، بأن يقرض إنسان إنساناً شيئاً بشرط أن يوفيه أكثر منه، أو يدفع إليه مبلغاً من المال على أن يوفيه أكثر منه بنسبة معينة كما هو المعمول به في بعض المصارف، وهو ربا صريح.

فهذه المصارف تقوم بعقد صفقات القروض بينها وبين ذوي الحاجات وأرباب التجارات وأصحاب المصانع والحرف المختلفة، فتدفع لهؤلاء مبلغاً من المال نظير فائدة محددة بنسبة مئوية، وتزداد هذه النسبة في حالة التأخر عن السداد في الموعد المحدد، فيجتمع في ذلك ربا النسيئة، وربا الفضل.

٢ - الإيداع بالفائدة، وهي الودائع الثابتة إلى أجل، يتصرف فيها البنك إلى تمام الأجل، ويدفع لصاحبها فائدة ثابتة بنسبة معينة، كعشرة أو خمسة في المائة.

٣ - بيع العينة، وهو أن يبيع سلعة بثمن مؤجل على شخص ثم يعود ويشتريها من الشخص نفسه بثمن حاضر أقل من الثمن المؤجل. وسميت هذه المعاملة بيع العينة، لأن مشتري السلعة إلى أجل أخذ بدلها عيناً، أي: نقداً حاضراً. والبيع بهذه الصورة إنما هو حيلة للتوصل إلى الربا.

ثانياً - الاحتكار:

وهو شراء الشيء من طعام وغيره من حاجات الناس الضرورية وحبسه تربصاً لغلاء الأسعار، مما يضر بهم. وقد حرم الله - عز وجل - الاحتكار على لسان رسوله الكريم ﷺ، وهو قوله ﷺ: «من احتكر فهو بيء خاطئ»[1].

* الحكمة من تحريم الاحتكار:

الحكمة من تحريم الاحتكار رفع الضرر عن عامة الناس، فلو احتكر إنسان شيئاً، ولم يجد الناس غيره، أجبر على بيعه في السوق بسعره المناسب، وذلك رفعاً للضرر عن الناس، وتعاوناً على العيش. فرفع الضرر عن الناس هو القصد من التحريم، فلو ادخر إنسان شيئاً، ولا يضر ذلك بالسوق فلا بأس به.

---

(١) أخرجه مسلم حديث: (١٦٠٥) كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، والخاطئ: هو العاصي الآثم.

* شروط الاحتكار:

يحرم احتكار الأشياء إذا توفرت فيها الشروط التالية:

١ - أن يكون ذلك من حاجات الناس الضرورية، كالطعام والثياب وما لا غنى لهم عنه في حياتهم.

٢ - أن يؤدي هذا الاحتكار إلى قلة هذه الأشياء في السوق ثم ارتفاع سعرها ارتفاعاً فاحشاً.

* مساوئ الاحتكار:

١ - وقوع الضرر على الناس بارتفاع أسعار السلع المحتكرة ارتفاعاً فاحشاً.

٢ - إهدار حرية التجارة والصناعة، والتحكم في الأسواق من قبل المحتكرين فقط.

٣ - إضاعة الفرصة أمام التجار الآخرين والتنافس في الكسب.

٤ - يؤدي إلى كثير من الأزمات الاقتصادية.

٥ - إشاعة التذمر وفقدان الثقة بين الناس.

* ثالثاً - الزنى:

وهو قبل الفاحشة، ويعتبر من أعظم المحرمات وأكبر الكبائر بعد الشرك والقتل. قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً ۖ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[2] وقال العلماء: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ... ﴾ أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا. فإن معناه لا تقتربوا من الزنى.

* الحكمة من تحريم الزنى:

قد أجمع أهل الملل على تحريم الزنى، فلم يحل في ملة قط، ولذا كانت عقوبته وحدّه من أشد الحدود، لأنه جناية على الأعراض والأنساب، وهو من جملة الكليات الخمس التي تسمى مقاصد الشريعة، وهي حفظ: النفس، والدين، والنسب، والعقل، والمال.

---

(١) سورة الفرقان الآيات من (٦٨ - ٧٠). (٢) سورة الإسراء الآية (٣٢).

وبسبب الزنى تختلط الأنساب فيبطل بسببه التعارف والتناصر على الحق، إضافة إلى ما ينشأ عنه من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات. فهذه الفاحشة أولها خلقية، وجريمة اجتماعية يجب أن تقاوم بأقسى ألوان المقاومة، دونما هوادة أولين أو رأفة.

* حد الزنى:

يعتبر حد الزنى من حقوق الله - تعالى - الخالصة له، أي من حقوق المجتمع، لما يترتب على الزنى من اعتداء على الأسرة والنسل ونظام المجتمع.

١ - فإذا زنى المكلف الحر غير المحصن، أي الذي لم يتزوج ولم يتعفف بزواجه، فإنه يجلد مائة جلدة، ويغرب لمدة سنة كاملة سواء أكان الزاني رجلاً أو امرأة.

لقول تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[1]

والمراد بالتغريب: النفي والإبعاد من البلد الذي وقعت فيه جريمة الزنى، والسجن يعتبر من العقوبة ذاتها.

٢ - وإن كان الزاني مكلفاً محصناً، أي تزوج وعاشر زوجته، وتعفف بالزواج، فعقوبته الرجم بالحجارة حتى الموت.

والعقوبة على الزاني المحصن ثابتة بسنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية المتواترة، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»[2].

وخصّ الثيب بالرجم لكونه تزوج، فعلم ما يقع به العفاف عن الفاحشة المحرمة، واستغنى عن الوقوع فيها. وأحوج نفسه عن التعرض لحد الزنى. فزال عذره من جميع الوجوه، وكملت في حقه النعمة، ومن كملت في حقه النعمة وعاينه أفحش، فهو أحق بزيادة العقوبة.

---

(١) سورة النور الآية (٢) وكيفية تعذيب الزاني الرجل أو المرأة لا فرق بينهما في العقوبة، وعليهما الله واجتمع المسلمون على ذلك.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حد الزنى، حديث (١٦٩٠).

التقويم

س ١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - ما الآثار السلبية على مجتمع اقترف بعض أفراده محرمات الله - تعالى -؟

ب - قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾

جـ - ارجع إلى أحد التفاسير، وسجل في كراستك تفسير الآية الكريمة السابقة.

د - ما أضرار الربا على الفرد والجماعة؟

هـ - دعّم هذه الآية الكريمة بما تحفظ من حديث رسول الله ﷺ الذي ينهى فيه عن المعاملات الربوية.

س ٢ - بم تعلل:

أ - الشاهد على عقد الربا يشترك في الإثم مع آكله.

ب - تحريم الاحتكار في الإسلام.

جـ - الزنى جريمة اجتماعية.

س ٣ - عرّف ما يلي:

أ - الربا. ب - بيع العينة.

س ٤ : - أكمل الجملة التالية بما يناسبها من عبارات:

- من مساوئ الاحتكار:

أ - .....

ب - .....

س ٥ - ابحث في بعض المراجع العلمية حول موقف الإسلام من:

- ظاهر التقوى الجنسي. - حدود الزينة للنساء

ثم علق عليها على ضوء فهمك لموضوع (تحريم الزنى).

س ٦ - قدم مقترحاتك للقضايا التالية مستندا لموقف الإسلام منها:

أ - انحراف الشباب، وابتعاده عن الدين.

ب - حاجة المجتمع اليوم للتعامل مع المصارف الربوية.

المفهوم الرابع

المشكلات الفكرية والسلوكية

المشكلات الفكرية والسلوكية التي يعاني منها المجتمع المسلم اليوم

تمهيد:

عاش المجتمع المسلم منذ تأسيسه على يد النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مجتمعاً محافظاً، مصدر حكمه وقوانينه الكتاب والسنة، وسلوكياته مستقيمة في التطبيق العملي لهذين المصدرين.

حقاً لم يخل هذا المجتمع من أفكار غريبة، وسلوكيات منحرفة عن النهج الإسلامي، لكنها في جملتها كانت قليلة لا تمثل مشكلة، والخطر كل الخطر عندما يكثر الخبث، ويتحول من مجرد ظاهرة إلى مشكلة تعطل مسيرة الحياة، وتحول دون النهوض والتقدم، ومن ثم تعرض المجتمع للهلاك والبوار.

وقد لفت النبي - صلى الله عليه وسلم - النظر إلى ذلك، يعني الخطر المترتب على كثرة الخبث في حديثه الذي ترويه عنه أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، حين سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث[1].

أبرز المشكلات الفكرية والسلوكية التي يعاني منها المجتمع المسلم اليوم:

وبمرور الزمن تبدلت الحال، وأخذت تظهر في المجتمع المسلم بعض المشكلات الفكرية والسلوكية، والتي من أبرزها:

تفسير الحياة وأصل الوجود تفسيراً مادياً - تفسير الوطنية والقومية تفسيراً عنصرياً - الحرية المطلقة لكل من الذكر والأنثى - الطبقية والتمايز الاجتماعي - الفقر والتبرج - الربا - الرشوة - الغش - المخدرات - عقوق الوالدين وقطيعة الرحم - عدم احترام الكبير ورحمة الصغير - الفرقة والتمزق - التأخر في جانب عمارة الأرض - الكبت الفكري والقهر - وغياب الشورى، والتسلط بحكم الفرد المطلق.

- اكتب تقريراً مختصراً عن إحدى هذه المشكلات.

- تكلم باختصار عن مشكلة عقوق الوالدين.

---

[1] أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ح٤: ٢٢٠١.
والخبث هو الفجور وكل ما قبح، كما في المعاجم، انظر: العنوان.

● أسباب بروز المشكلات الفكرية، والسلوكية التي يعاني منها المجتمع المسلم:

ولا شك أن هناك أسباباً كانت وراء بروز كثير من المشكلات الفكرية، السلوكية، التي يعاني منها المجتمع المسلم، وأهم هذه الأسباب:

١ - عدم رعاية الضوابط الشرعية في التعامل مع النمو الاقتصادي:

فقد منّ الله - عز وجل - علينا نحن المسلمين - إلى جانب مرفع البلاد الإسلامية المهم اقتصادياً - منّ علينا بثروات هائلة مثل: النفط والحديد والذهب والفضة، والسجنيز، واليورانيوم وغيرها، ولكن لم نراع الضوابط الشرعية في التعامل مع هذا النمو والتقدم، وأهم تلك الضوابط:

أ - أن يكون ذلك في أيدينا لا في قلوبنا، حيث كان من دعائه - صلى الله عليه وسلم - قوله:

«... ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا...»[1].

ب - وأن ننفق باعتدال وتوسط، بلا تقتير، ولا إسراف.

إذ يقول سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ سورة الفرقان الآية: (٦٧).

جـ - أن نؤدي حق الله - تعالى - في هذه الخيرات، فنجعلها ثروة للمسلمين عالمياً، لا ثروة محلية فنرفع عائلة الجوع والعوز عن كاهل البلاد الإسلامية الفقيرة، ونجعل منها دولاً منتجة، ولا يكون ذلك إلا بأداء حق الله وتوزيع الثروة - قال تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ... ﴾ سورة الحشر الآية: (٧). وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة المعارج الآيتان: (٢٤ - ٢٥).

٢ - سيطرة الثقافة الأجنبية:

لما ركن المسلمون إلى الدنيا، وتركوا العمل في عمارتها، وأعرضوا عن كتاب الله - تعالى - وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فزانا عدونا - وكان قد أعد نفسه الإعداد الجيد علمياً، وعسكرياً - فغلبنا على أنفسنا وسيطر على أرضنا وخيراتها، وحرص في فترة سيطرته أن يفسح المجال لثقافته، وأخلاقه، وهي بلا شك تتنافى مع مبادئ شرع الله الحنيف، مع التضييق على الثقافة الإسلامية ومنعها من أن تأخذ طريقها إلى

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن كتاب الدعوات حديث رقم (٣٥٠٢)، ج٥، ص ١٩٣ - وقال عنه: حديث حسن غريب.

المعقول والمقارب، فأنشأ المدارس والمعاهد والجامعات الأجنبية في بلادنا، وفتح المجال للبعثات العلمية إلى بلاده، واهتم بالإعلام في كل صوره، مع صبغه بثقافته هو لا بثقافتنا نحن المسلمين - وغير مناهج التعليم بما يخدم ثقافته ويقضي على ثقافة الأمة، وحارب المعاهد الشرعية بكل ما لديه من أساليب ووسائل، وأقام الجمعيات السرية الهدامة ليمارس من خلالها نشاطه كالماسونية وغيرها، ولما ثارت الأمة في وجه هذا العدو، وقاومته اضطر إلى الرحيل عسكريا، تاركاً وراءه صوراً عديدة من السيطرة الثقافية والسياسية والاقتصادية، والإعلامية والتربوية والإدارية ونحوها، وقد رضي كثير من دول المسلمين أن يستبدلوا الثقافة الغربية، وتقاليد أهلها باستعمار الأرض، متجاهلين أن الاستعمار الثقافي أشد وأخطر على الأمة من استعمار الأرض، وهذا ما حذرنا الله - تبارك وتعالى - منه، وحدد نتيجته وهو الضنك والتخبط والفوضى والذي لا يرفع إلا إذا استبدلنا القرآن الكريم وهو ذكر الله - تعالى - بالثقافة والسلوك الغربي - قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ... ﴾ سورة طه الآية: (١٢٤)

* علاج المشكلات الفكرية والسلوكية التي يعاني منها المجتمع المسلم:

ومما لاشك فيه أن العلاج الناجح هو الذي يأخذ كل مشكلة، ويعالجها على حدة، مع عدم قطع النظر عن حل جوهر المشكلة وإطارها المتمثل في:

١ - التعامل مع الندوة الاقتصادي في ضوء الضوابط الشرعية التي سبق الحديث عنها.

٢ - السعي نحو التخلص التدريجي من سيطرة عدونا علينا: فكرياً وسياسياً، واجتماعياً واقتصادياً، وتربوياً، وإعلامياً، وقضائياً.

٣ - الترحيب بكل جديد مفيد شريطة ألا يتعارض مع مبادئ ديننا الحنيف، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها، فهو أحق بها.

التقويم

س ١ - ارجع إلى كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للندوي. ولخّص منه أسباب تدهور واقع المسلمين اليوم.

س ٢ - اشرح العبارة التالية:

«من أهم مشكلات البلاد الإسلامية عدم رعاية الضوابط الشرعية في التعامل مع النمو الاقتصادي».

س ٣ - أجب عما يأتي:

أ - ما دور الثقافة الأصيلة في واقع المسلمين اليوم؟

ب - اكتب ملخصاً عن أساليب علاج المشكلات الثقافية والحضارية.

س ٤ - اكتب رأيك بموضوعية في القضايا التالية مستعيناً بأستاذك:

أ - حب الوطن من الإيمان.

ب - الحرية المطلقة للذكر والأنثى في بعض المجتمعات البشرية دون أية ضوابط.

جـ - غياب الشورى عند بعض الدول الإسلامية.

مشكلة الحرية وموقف الإسلام منها

تمهيد

الحرية مطلب الإنسان منذ خلقه الله - تعالى - على هذه الأرض، من أجلها كانت الحروب والصراعات، وما زالت، فإن القوي يريد التسلط على الضعيف واستعباده وسلب أرضه وحريته، والضعيف قوي بعزيمته، فإذا رفع للقوي حيناً من الدهر، فإنه لا محالة ثائر يوماً يستعيد حريته، ويستعيد كرامته.

ويسود في عالم اليوم، وفي الدول المتصدرة لقيادة الحضارة مفهوم خاطئ عن الحرية، فهي عندهم: إطلاق للفرد يفعل ما يشاء، دون ضابط من دين أو خلق في سبيل أن يحقق متعته الشخصية.

ولكن للإسلام مفهوماً للحرية آخر وهو إطلاق العنان للفرد يتصرف كما يشاء شريطة ألا يتعدى حدود الله تعالى أو يضر بغيره أو يضر بنفسه.

فالإسلام يجعل الحرية عطاء متبادلا بين الأفراد والمجتمع، فكل حق يأباه واجب، وكل فرد تنتهي حريته عندما تبدأ حرية الآخرين.

* مفهوم خاطئ عن الحرية في الإسلام:

ويتصور نفر من الناس مشكلة الحرية في الإسلام بأنه يتدخل في كل صغيرة وكبيرة تتصل بحياة الإنسان، وذلك من شأنه سلب المرء حريته وإرادته من أن يتصرف كما يشاء وأن يشبع رغباته حسبما يحب.

وعلى سبيل المثال يتدخل الإسلام في قضية الاعتقاد فيوجب قتل من ارتد عنه، ويتدخل في قضية الإشباع الجنسي فلا يتم إلا بالزواج، ويتدخل في الحرية الشخصية فلا يسافر المرأة إلا مع محرم.

ويتدخل في قضية الملبس فيجبر بعض صوره، ويمنع بعضها الآخر، ويتدخل في قضية المأكل، فيفرض على المرأة لباساً خاصاً وقت خروجها من بيتها ويمنعها مخالطة الرجال.

* موقف الإسلام من هذا المفهوم الخاطئ:

هذه مفهوم خاطئ لايقره الإسلام، فالله - تبارك وتعالى - قد كرم الإنسان فمنحه حرية الاعتقاد، وحرية التملك وحرية الفكر، ولكنه لم يمنحه هذه الحقوق إلا في جو من الضوابط والقيود التي تتبع للآخرين أن يتمتعوا بنفس هذه الحقوق، وما من نظام في الدنيا، ولا دولة إلا ويضعان على الحرية قيوداً أو ضوابط، فلا

يجوز الخروج على النظام العام في الدولة باسم الحرية سواء أكان النظام ملكياً أم جمهورياً أم شيوعياً أم رأسمالياً، كما أنه لا يجيز القوانين والدساتير الخروج عن نصوصها باسم الحرية، كما أنه لا يجيز لأحد الطعن في الرؤساء والملوك.

والإسلام واضح في منح الحرية للإنسان في إطار السابق ذكره خاصة مجال حرية الاعتقاد وحرية التملك وحرية الرأي وحرية المرأة، وفيما يلي بيان موجز في هذه الأنواع من الحريات:

* في حرية الاعتقاد:

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ... ﴾ سورة البقرة الآية: (٢٥٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ سورة يونس الآية: (٩٩)

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ... ﴾ سورة الكهف الآية: (٢٩).

ونصت الوثيقة النبوية التي أبرمها النبي - صلى الله عليه وسلم - مع اليهود حين دخل المدينة أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم.. [1] وعندما بعث أبو بكر الصديق يزيد بن أبي سفيان على رأس جيش قال له: «إنك ستلقى أقواماً زعموا أنهم قد فرغوا أنفسهم لله في الصوامع، فذرهم وما فرغوا أنفسهم له» [2]

وأعطى عمر أماناً لأهل إيلياء على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، وأعطى عمرو بن العاص أهل مصر أماناً على أنفسهم، وكنائسهم وصلبانهم، ولا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم. [3]

* حرية التملك:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾ سورة البقرة الآية: (١٦٨)

---

(١) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور: محمد حميد الله ص ٦١

(٢) انظر: فتوح الشام، ص ٩ بتصرف

(٣) المرجع السابق ٤٨٨، ٤٨٩

وقال تعالى: ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة النحل الآية: (١١٤)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة المائدة الآيتان: (٨٧: ٨٨)

فالإسلام يطلق الحرية في مجال التملك دون حدود فللإنسان أن يتملك الملايين من النقد أو الأرض ما دام كسبه من حلال، بجهده واجتهاده، دون ظلم أو أكل لأموال الناس بالباطل.

* في حرية الرأي والفكر:

قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... ﴾ سورة آل عمران الآية: (١٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الشورى الآية: (٣٨)، فالخطاب للنبي ﷺ أن لا يفرض رأيه على صحابته فيما ليس من أمور الدين المأمور بها، فيأخذ برأيهم أو يسترشد به. وهذه صفة المؤمنين أن يكون رأي كل واحد منهم مسموعاً. وكان النبي ﷺ يسمع الرجال والنساء، وكانت المرأة تقف أمام النبي ﷺ وتناقشه حتى نزل في إحداهن قرآناً يتلى، قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ... ﴾ سورة المجادلة الآية: (١)، وعنه - صلوات الله وسلامه عليه - تعلّم صحابته هذا الخُلق. خلق احترام كلمة الآخرين، وتقف امرأة أمام عمر ﷺ وفي جمع الصحابة الكرام تناقشه في قضية المهور، حتى قال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وموقف الإسلام من بعض القضايا التي يحاول البعض أن يجعلها مفيدة للحرية واضح فمثلاً:

١ - قتل المُرتد:

قضية قتل المُرتد هي كالخيانة العظمى في النظم الوضعية، فمن يدخل الإسلام يدخل برضاه دون إكراه، ولكي لا يُسمح لأحد أن يؤمن ثم يكفر، وإلا أصبح الدين هزواً، وما أمنت الذين قاتلوه، ولذا قال النبي ﷺ: «من بدّل دينه فاقتلوه» (١) ومع هذا فإنه من رحمة الله بهذا الخلق أن سمح له بالعدول عن أقواله وأعماله التي

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله من حديث عبدالله بن عباس مرفوعاً بهذا اللفظ حديث (٣٠١٧) ١٠/ ٧٥

ارتدّ بها عن الإسلام حتى بعد ظهور الحكم بالردة، وإذا عدل سقط عنه الحد. عن أنس رضي الله عنه قال: إن رجلا نبهان ثلاث مرات. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم، امكني من نبهان في عنقه حبل أسود» فالتفت فإذا هو بنبهان قد أخذ، فحمل في عنقه حبل أسود، فأتوا به النبي ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ السيف بسيفه والحبل بيده ليقتله، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، لو أمطت عنك. قال: وتدفع السيف إلى رجل. فقال: اذهب فاضرب عنقه، فانطلق به، فضحك نبهان، فقال: أتقتلون رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، دعني عنك.[1]

٢ - قوامة الرجل على المرأة:

وسر جعل القوامة على المرأة للرجل ما ذكره الله في كتابه في قوله: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [سورة النساء الآية (٣٤)]

والتفضيل هنا مرجعه الفوارق في الخلقة والتكوين، ولازم الرجل بأعباء النفقات للزوجة والأولاد، فقد أثبتت بحوث العلم وتحقيقاته، أن المرأة تختلف عن الرجل في كثير من جوانب الصورة والسمة والأعضاء الخارجية، إلى ذرات الجسم والخلايا، ومع بلوغها سن الشباب يعروها المحيض الذي تتأثر به أفعالها ومشاعرها. وجوارحها، وتدل براهين علمي الأحياء والتشريح على أن المرأة تطرأ عليها تغيرات مدة حيضها بأن تقل في جسمها قوة إمساك الحرارة فتنخفض حرارتها، ويبطئ النبض، وينقص ضغط الدم، وتقل عدد خلاياه، وتصاب العدد الصماء والأوزان والغدد المضادة بالتغير، ويختل الهضم، وتضعف قوة التنفس، ويتبلد الحس، وتتكاسل الأعضاء، وتتخلف الفطنة، وتقل قوة تركيز الفكر، وأشد على المرأة من مدة الحيض: زمان الحمل، حيث لا تستطيع قوى المرأة إبان حملها أن تتحمل من مشقة الجهد البدني، أو العقلي ما تتحمله في عامة الأحوال، مما يخل معه نظام جسمها كله، ويستغرق بضعة أسابيع، وبذلك تبقى المرأة مريضة أو شبه مريضة مدة تسعة أشهر بعد قرار الحمل، وتعود قوة عملها نصف ما تكون عليه في عامة الأحوال، وإذا أضفنا إلى ذلك خصائص الأمومة نفسها التي تجعل لديها قدراً كبيراً من العاطفة والوجدان، بينما لا تبلغ ذلك في أمور الفكر والنظر، والرجل عكس ذلك تماماً. فهمت لماذا جعل الإسلام القوامة على

---

(١) الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ٢٦١ كتاب الحدود والديات باب فيمن كفر بعد إسلامه وشتم النبي ﷺ، ورواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

المرأة الرجل، وأن ذلك لمصلحتها ومصلحة الأولاد ولو كانت بيدها وهي بهذا الوصف لأضرت بنفسها وبالأولاد من حيث لا تدري ولا تشعر.[1]

٣ - فرض الحجاب على المرأة ومنعها الاختلاط بالرجال وسر الحجاب للمرأة بينه ربُّ العزة في قوله:

﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة الأحزاب الآيات: (٣١: ٣٤).

والاختلاط بالرجال ضرره معروف، فلو حافظت المرأة الرجل، لكانت مهامة لتراشقها العيون وحينئذ تختلط الأمور وتذهب رسالة المرأة بددا.

وذلك أمر تأباه الفطرة السليمة والعقول الراشدة، فالحجاب صيانة لعفة المرأة وحفظ فطرتها، وهو في الوقت ذاته لا يتعارض وقيامها بدورها في المجتمع أما ومربية ومعلمة وطبيبة وداعية تؤدي دورها كما يؤدي الرجل دوره.

ومن هذا ندرك بوضوح أن ديننا الحنيف دين مساحة الحلال فيه كبيرة، ومجال الحرية فيه كبير، وأن لكل إنسان رأي يحترم، ولا يحق لأحد أن يحجر على رأيه، وأن الرأي لا يكون مردودا إلا إذا عارض نصا من كتاب الله - عز وجل - أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) انظر معلمة الإسلام للأستاذ أنور الجندي: المجموعة الأولى: ٥٤٢ - ٥٤٣ بتصرف.

التقويم

السؤال الأول – بم تعلل:

أ – وجوب قتل المرتد عن الإسلام.

.....

.....

ب – القوامة حق للرجال دون المرأة.

.....

.....

جـ – كراهية اختلاط الرجال بالنساء دون حدود وضوابط في الإسلام.

.....

.....

السؤال الثاني – أجب عن الأسئلة التالية:

أ – كيف نفتخ المرأة في مجتمعك بشرعية الحجاب الإسلامي؟

ب – ما هو ضوابط الحرية في الإسلام؟

السؤال الثالث – أكمل الجمل التالية بما يناسبها من عبارات:

أ – معنى الحرية في الإسلام هو:.....

ب – ورد تشريع حرية التملك في قوله تعالى:.....

ووردت حرية الرأي والفكر في قوله تعالى:.....

.....

جـ – كرّم الله – تعالى – الإنسان فمنحه حقوقاً كثيرة، أهمها ثلاثة هي:

.....

السؤال الرابع: اقرأ الفصل الرابع من كتاب (الإسلام في حياة المسلم) د. محمد البهي - ثم لخص موضوع حقوق الإنسان في الإسلام، مقدماً بعض الاقتراحات لمنظمة حقوق الإنسان العالمية على ضوء فهمك لمبادئ الإسلام.

مشكلة الطبقية
وموقف الإسلام منها

تمهيد:

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من فئات متشابهة في صفة أو أكثر تشكل فيما بينها طبقة أو فئة، كالأغنياء والفقراء، ومن هم وسط بينهما، وكالمثقفين وغير المثقفين، وكالعمال والموظفين، ونحو ذلك. وهذه التفاوت أو هذه الطبقية أمر طبيعي بل ضروري، فالله - تعالى - خلق الخلق متفاوتين في أفهامهم ومدارك عقولهم فمنهم الذكي الفطن، ومن دون ذلك، ومنهم المجتهد المحسن، ومنهم الخامل.

كما خلق الله - تعالى - الخلق متفاوتين في رغباتهم وميولهم العملية والعلمية، ومتفاوتين في طاعتهم، كل ذلك وغيره يؤدي إلى تفاوت مكانة كل منهم، وهذا من حكمة الخالق وبديع صنعه، ولو خلق الناس على صفة واحدة لما أمكن للناس حياة يخدم فيها بعضهم بعضاً.

- مفهوم الطبقية: كل جماعة من الناس يشتركون في صفة أو أكثر: كطبقة الأغنياء والفقراء والمثقفين وغيرهم من العمال تشكل طبقة متميزة. وهذه الطبقية تكون مشكلة في الحالات الآتية:

* متى تكون الطبقية مشكلة:

١ - محاولة الأقوياء والأغنياء استغلال الضعفاء والفقراء وإذلالهم حيث يستأثرون بالحياة الرغيدة على حساب ضعف وجهد غيرهم.

٢ - الإعجاب بالنفس ثم الغرور والتكبر، إذ يرى أصحاب المواهب والإمكانات أن لديهم ما ليس لغيرهم، ومن ثم يصابون بالإعجاب بالنفس، ثم بالغرور والاستعلاء والتكبر، وهذه بداية الشر والفساد. إذ يقول رب العزة - سبحانه -: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ سورة الأعراف الآية: (١٤٦).

٣ - شيوع الأضغان والأحقاد بين الناس حين يشعر الضعيف أو المحروم من النعمة بالحرمان ويرى غيره يستأثر بها، ويذله ويمنعه حقه، ويتعالى عليه، ولا يراقب الله - عز وجل - في صغيرة ولا كبيرة.

٤ - انتشار الاختلاف والفرقة الأمر الذي يؤدي إلى ذهاب ريح الأمة وقوتها وتمكن الأعداء منها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾ سورة الأنفال الآية: (٤٦).

متى تكون الطبقية نعمة: تكون في الحالات التالية:

أ - تعاون كل طبقة فيما بينها لتحسين حالها ومستواها.

ب - تعاون جميع الطبقات من أجل إسعاد الوطن والرقي بمستواه واعزازه.

جـ - رحمة الأقوياء بالضعفاء، وعطف الأغنياء على الفقراء، وتعليم العالم الجاهل.

د - شيوع الحب والمودة، الأمر الذي يؤدي إلى الوحدة والترابط، وعدم تمكن الأعداء من النيل من الأمة.

وهذه الآثار مجتمعة تعود على المجتمع وأفراده بالقوة والرخاء.

● مواجهة الإسلام لمشكلة الطبقية:

وقد واجه الإسلام مشكلة الطبقية بمبادئ محددة واضحة:

١ - إعلان أن الناس سواء أمام الله - عز وجل - لا يتفاضلون بمال أو جاه أو ولد، وإنما التفاضل بالتقوى المتمثلة في الإيمان والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾ سورة النساء الآية: (١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة سبأ الآية: (٣٧).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾ سورة الحجرات الآية: (١٣).

٢ - دعوة الجميع إلى العمل مع الإتقان والإحسان وتحري الحلال، ودعوتهم للتسابق في هذا كله، وقد ادخر الله - تعالى - لهم الأجر والمثوبة فيما يعملون وفيما يحققون من خير مادي أو معنوي لأنفسهم

أو لغيرهم. قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ سورة التوبة الآية: (١٠٥) وقال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ سورة النحل الآية: (١١٤). وعن المقداد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده»[١٢٩]

وعن شداد بن أوس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته».[١٣٠]

٣ - الترغيب في التواضع والإغراء به مع الترهيب والتحذير من الإعجاب بالنفس والغرور والتكبر. قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الفرقان الآية: (٦٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال:

«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله».[١٣١]

وعن عبدالله بن مسعود أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».[١٣٢]

٤ - النهي عن النيل من الآخرين بالاستهزاء والسخرية أو مناداة الآخرين بـ (يا فاسق ويا كافر) أو الظن السيء أو التجسس وتتبع عورات الناس أو الغيبة والنميمة وبيان ذلك من سيء القول أو الفعل.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ

---

(١٢٩) أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب البيوع: باب كسب الرجل وعمله بيده ٣/ ٧١.

(١٣٠) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الصيد والذبائح: باب الأمر بإحسان الذبح والقتل ٣/ ١٥٤٨ رقم ١٩٥٥.

(١٣١) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب استحباب العفو والتواضع ٤/ ٢٠٠١.

(١٣٢) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر وبيانه ١/ ٩٣ رقم ١٤٩.

أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الحجرات الآيتان: (١١-١٢).

٥ - الحث على التعاون والتراحم والاحترام والتقدير:

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ سورة المائدة الآية: (٢).

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».[11]

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: «لقيت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي - صلى الله عليه وسلم -: يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم».[12]

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «بينما نحن في سفر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: من كان معه فضل ظهر[13] فليعد به[14] على من لا ظهر له، ومن له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له». قال: فذكر من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل».[15]

ولقد رسم لنا الإسلام صورة حية للمجتمع المسلم المتعاطف المترابط الذي يحس فيه القوي على الضعيف، بل اعتبر الإسلام الساعي على الأرملة والمسكين بدرجة المجاهد في سبيل الله.

---

(١١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ٤/ ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ رقم ٢٥٨٦.

(١٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية ١/ ٩٤.

(١٣) فضل ظهر: راحلة ما وكل غير ظهره من الدواب، وخص الظهر بالذكر. انظر النهاية لابن الأثير ٣/ ٤٩ بتصرف.

(١٤) (فليعد به): الفيء مع بعد القول: عاد الشيء يعود عودا وعودة: أي رجع. انظر النهاية لابن الأثير ٣/ ٢٣٧ بتصرف.

(١٥) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب اللقطة باب استحباب المواساة بفضول المال ٣/ ١٣٥٤ رقم ١٧٢٨.

التقويم

س ١ - أجب عن الأسئلة التالية:

١ - عرف الطبقية:

٢ - متى تكون الطبقية مشكلة؟

٣ - ما أسباب ظهور الطبقية في المجتمع؟

٤ - ارجع إلى أحد كتب التاريخ الإسلامي أو السيرة ثم اكتب تقريراً حول حياة العرب الاجتماعية في الجاهلية، مبرزاً دور الإسلام في معالجة الطبقية فيها.

س ٢ - أكمل الجمل التالية بعبارات مناسبة:

١ - تكون الطبقية مشكلة إذا تجردت من ..... و .....

٢ - حدد الإسلام قيمة الإنسان في قوله تعالى: ﴿ ..... ﴾.

٣ - لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من .....

س ٣ - قال تعالى في سورة الحجرات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾.

التقويم

اقرأ الآيات الكريمة السابقة ثم أجب:

١ - عم نهانا الله تعالى في الآيات الكريمة السابقة؟

.....

.....

٢ - ما عواقب سوء الظن والغيبة والنميمة على أفراد المجتمع المسلم.

.....

.....

٣ - بم شبّه الله - تعالى - المغتاب؟ وما رأيك في هذا التشبيه؟

.....

.....

س ٤ - قارن بين طبقية الحياة الاجتماعية اليوم، وطبقية الحياة الاجتماعية في الجاهلية، مبرزاً آثارها السلبية على الفرد والمجتمع.

.....

.....

.....

.....

س ٥ - ما التشريعات التي واجه بها الإسلام مشكلة الطبقية؟

الدرس الثاني عشر

الاتجاهات في تفسير الكون والحياة وما يترتب عليها من سلوكيات

تمهيد

حين ابتعد الناس عن أنوار الوحي، وألغوا عقولهم، وتبعوا أهواءهم وأنصتوا لإيحاءات الشياطين، اختلفوا في تفسير نشأة الكون، والحياة وكانت لهم اتجاهات خاطئة وسلوكيات منحرفة، وهذا الانحراف قد وقع فيه الفلاسفة وغيرهم من أمم فضلوا وأضلوا، وهذا دليل على أن العقل وحده لا يمكن أن يستقل في فهم كل شيء سواء أكان غيبيا أم موجودا، وأن الناس لا بد لهم من رسل يوجهونهم ويرشدونهم بأمر الله تعالى، لما فيه صلاحهم وما فيه إجابة سليمة لمشكلات حياتهم الفكرية والاعتقادية.

١ - مظاهر انحراف فلاسفة اليونان والرومان:

أ - في العقيدة

زعم أكثر فلاسفة اليونان أن الكون والحياة وجدا بذاتهما وأن الذي يحركهما الحركة الدائبة المستمرة إنما هي طائفة من الآلهة تخيلها هؤلاء، وصنعوا لها تماثيل بأيديهم: هذا إله المطر ... وهذا إله الرعد، وهذا إله الكواكب... وهذا إله الريح، وهذا إله الخصب، وهذا إله البحار والأنهار... آلهة متعددة بتعدد ظواهر الكون والحياة، وقلة منهم هدوا إلى أن وراء خلق الكون والحياة، وحركتهما الدائبة المستمرة إله واحد موصوف بالكمال منزه عن النقص، ولكنهم غالوا إلى حد أن زعموا أن هذا الإله انقطع عن خلقه بعد أن خلقهم وسكن برهة عاجزاً، ولم يعد يدري شيئا عنهم.

ب - في السلوك

ونشأت فيهم تبعاً لذلك سلوكيات منحرفة، من تقديم القرابين لهذه الآلهة، والزنا وشرب الخمر وأكل الميتة وسفك الدماء وزيادة الضرائب والإتاوات والصراعة العنيفة بين البشر أو بينهم وبين السباع والثيران أو بين الحيوانات والطيور، فكانوا يتقاتلون بقتل الصارعين بعضهم بعضاً، ويمتد القتال ساعة الاحتضار وهم يتأوهون ويئنون، وانتشر الترف والتبذير، والعلو والاستكبار في الأرض، وتقسيم المجتمع إلى سادة وعبيد، وهكذا انتشرت الرذيلة وانكمشت الفضيلة.

٢ - مظاهر انحراف العرب قبل الإسلام:

أ - في العقيدة

أما العرب فقد كانوا أفضل تفكيراً من كثير من الأمم قبلهم ولعل ذلك راجع إلى تأثرهم ببقايا دين إبراهيم

- عليه السلام - ولاحتكاكهم وتعاملهم مع اليهود والنصارى ولذلك ردوا خلق الكون والحياة، وتدبير شئونهما إلى الله - عز وجل -:

قال تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة العنكبوت الآيات من : (٦١- ٦٦).

ولكنهم توجهوا بالعبادة والطاعة إلى آلهة صنعوها بأيديهم من الحجارة والخشب، والتراب، والتمر، بدعوى أنها تقربهم من الله كثيراً.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ سورة الزمر الآية: (٣)

ب - في السلوك:

وهذا الانحراف العقائدي والفكري تبعه انحرافات سلوكية من مثل: وأد البنات، وتجارة الرقيق، وإنقاص الكيل والميزان، وشرب الخمر، ولعب الميسر (القمار)، وسفك الدماء لأتفه الأسباب، وقطع الطريق، وأكل الميتة، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وما شاع من عبادة الكواكب والنجوم والشمس وغير ذلك. تحدثت عن واحدة من هذه السلوكيات.

٣ - مظاهر انحراف الحضارة الحديثة:

وفي الحضارة الحديثة شاعت اتجاهات في تفسير الكون والحياة، منها الصدفة وبعبارة أخرى أن الأسباب والمسببات هي التي خلقت الكون والحياة، وهي التي تدير حركتها، ومنها أن الله هو خالق الكون

والحياة، ولكن معه أبناء مثل اعتقاد اليهود: أن عزيراً ابن الله، واعتقاد النصارى أن المسيح ابن الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ... ﴾ سورة التوبة الآية: (٣٠). وتحريف اليهود والنصارى لدينهم تبعاً لأهوائهم أدى بهم إلى ما يخرجهم عن الدين القويم وانتشرت فيهم الانحرافات مثل: الزنا، وشرب الخمر، وسفك الدماء، وأكل أموال الناس بالباطل مرة عن طريق الربا، ومرة عن طريق الغش، ومرة عن طريق الرشوة، ومرة عن طريق السرقة، ومرة عن طريق الغصب، ومرة عن طريق التجارة في المحرمات من صناعة التماثيل أو بيع الخمر أو الرقيق الأبيض أو الأطفال، بل اتسع أمر الجريمة إلى حد احتلال بلاد بأسرها ومصادرة خيراتها، وثرواتها، واستعباد أبنائها.

* اتجاه الإسلام في تفسير الكون والحياة:

والاتجاه الصحيح في تفسير الكون والحياة ما جاء به الإسلام من أن الله خالق الكون والحياة، ومدبِّر ومصرِّف شؤونهما، وأن الخلق وإن طال يوم الزمان صائرون إلى الله للسؤال، والحساب، والجزاء بالسوء سوءاً وبالإحسان إحساناً.

ومنطق الإسلام في ذلك أن كل صنعة لابد لها من صانع، وكل أثر لا بد له من مؤثر، ويستحيل أن يكون هذا الكون - بإبداعه، وترتيبه، ونظامه، وهداية كل مخلوق فيه لوظيفته - من العدم، أو من تلقاء نفسه، بل لا بد له من خالق مدبر هو الله سبحانه وتعالى - قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الطور الآيتان: (٣٥- ٣٦). وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الروم الآية: (٤٠)، وتبعاً لهذا الاتجاه في تفسير الكون والحياة، يوجب الإسلام أن تكون العبادة لله وحده.

فالإسلام لا يفرض على العقل مفهوماً محدداً ولكنه في الوقت ذاته يدعوه للتفكر في هذا الكون، وفي هذه الحياة وفي الأحياء من خلقها؟ هذه الصنعة المتقنة الدقيقة العجيبة من صنعها؟ ولا ريب أن العقل يجيب بفطرته التي فطره الله عليها بأن هذا الخلق وهذه الصنعة لا بد لها من خالق وصانع، ولا بد أن نسمع لهذا الخالق وأن نلتزم بحكمه وإرشاده.

* الآثار المترتبة على التفسير الصحيح للكون والحياة:

السلوكيات المترتبة على التفسير الصحيح للكون والحياة هي في تلقي الأحكام الاعتقادية والتشريعية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية عن الله - تعالى - الخالق الرزاق المستحق للعبادة وحده ولذا انتظم الإسلام

أحكاماً ونظماً أهمها:

الصلاة والزكاة والصيام والحج وقراءة القرآن والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ونظم وتشريعات المال والدماء والأعراض والأسرة والعلاقات الاجتماعية نحو الأهل والأولاد والأبوين والأرحام والجيران والأصدقاء والأعداء وغيرهم، ومن الصدق والأمانة والعدل والوفاء والرحمة وكظم الغيظ والعفو والإحسان والتواضع ونحوها من الأعتقادات والسلوكيات الكفيلة بحماية كل تقدم حضاري.

■ دور المسلمين في حماية الحضارة المعاصرة من الانحراف:

إن الآثار العظيمة التي تترتب على التفسير الصحيح للكون والحياة كما يحددها الإسلام تفرض على المسلمين أن يكونوا قادة الحضارة المعاصرة ومنقذي أهلها من الانحرافات الاعتقادية والفكرية والسلوكية، وهذا يتطلب من المسلمين أن يحققوا في أنفسهم الأمور التالية:

١ - الالتزام بالقيم والمبادئ الإسلامية التي مضى الحديث عنها في الفقرة الماضية، فيصبحون دعاة لهذا الدين بالقدوة والسلوك قبل أن يكونوا دعاة له بالقول والكلمة.

٢ - فقه الإسلام فقهاً شمولياً وسطاً بين الإفراط والتفريط.

٣ - نشر مبادئ الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤ - الإفادة من علوم الأمم الأخرى ومعارفها شريطة ألا تتعارض مع مبادئ الإسلام، فالحكمة ضالة المؤمن أني وجدها فهو أحق الناس بها وبتوظيفها في كل شؤون الحياة.

٥ - الاهتمام بالعلم لاسيما العلم التجريبي وإشاعته بينهم.

٦ - تعريف الآخرين بحاجة الحضارة المعاصرة إلى قيم الإسلام ومبادئه وأخلاقه.

فلو أعطى المسلمون لغيرهم الصورة الصحيحة للإسلام، وكانوا هم مثاله الصحيح، فإن ذلك سيؤثر في الناس جميعاً، فيفهمون الإسلام الفهم الصحيح فيدخلونه مؤمنين أو يحترمونه ولا يعادونه، وتعود للمسلمين خيريتهم ومكانتهم التي أرادها الله لهم يوم أن أخرجهم للناس.

فقال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ سورة آل عمران الآية (١١٠).

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ سورة البقرة الآية (١٤٣).

التقويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١ - قارن بين:

عقيدة اليونان والرومان، وعقيدة العرب في تفسير الكون والحياة، ثم وضح ما ترتب عليها من اعتقادات وأفكار وسلوكيات خاطئة.

س ٢ - اقرأ في كتاب (العقيدة في الله - د. عمر الأشقر) ثم اكتب تقريراً حول (أدلة وجود الخالق عزّ وجلّ) مدعماً تقريرك بالأدلة النقلية.

س ٣ - كيف يكون للمسلمين دورهم الرائد في حماية الحضارة المعاصرة من الانحراف؟

س ٤ - علل:

١ - الوحي سند العقل.

٢ - العرب قبل الإسلام أفضل ممن سبقهم تفكيراً وتفسيراً للكون والعبادة.

الدرس الثالث عشر

مشكلة العدوان الدولي وموقف الإسلام منها

المقصود بالعدوان الدولي: اعتداء دولة قوية على دولة صغيرة طمعاً في احتلال الأرض، والاستيلاء على الخيرات والثروات، وإذلال واستعباد أهل وشعوب هذه الدول، وحرمانهم من أبسط الحقوق وأهمها وهو حق الحرية. وقد عانت الإنسانية قديما وحديثا من هذا العدوان.

وهناك آثار تترتب على العدوان الدولي منها:

١ - سلب الأموال وانتهاك الأعراض وإراقة الدماء.

٢ - زرع بذور الشقاق والفرقة بين بني الإنسان وذهاب الأمن

٣ - توقف أو تعثر مناهج التنمية والنمو، حيث يُشغل أبناء البلد المعتدى عليه بمقاومة المعتدي لطرده، والتخلص من عدوانه.

■ موقف الإسلام من العدوان الدولي:

الإسلام يرفض العدوان الدولي بكل أشكاله وصوره لآثاره المدمرة التي مرَّ ذكرها آنفاً.

ويتجلى هذا الرفض في هذه المبادئ:

١ - تحريم العدوان على الدماء والأموال والأعراض، إذ يقول الله - تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾ سورة الأنعام الآية (١٥١)، سورة الإسراء الآية (٣٣). ويقول: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ... ﴾ سورة البقرة الآية (١٨٨).

ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم

«كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه....»(١)

٢ - تحريم الاستكانة والرضا بالذل والهوان، إذ يقول الله - تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ ... ﴾ سورة النساء الآية (١٠٤)، ويقول:

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم ظلم المسلم وخذله ...، ١٩٨٦/٤ رقم ٢٥٦٤.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ سورة آل عمران الآيات من: (١٤٦ - ١٤٨).

٣- وجوب مقاومة المعتدي بكل الأساليب والوسائل التي تردعه، وتحمله على التخلي عن عدوانه، إذ يقول الله - تبارك وتعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ... ﴾ سورة البقرة الآية: (١٩٠).

ويقول أيضاً: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة الشورى الآيات من: (٣٩ - ٤١).

٤- ثواب من قُتل دفاعاً عن دمه، وماله، وعرضه، بالشهادة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال: «فلا تعطه مالك» قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله». قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «أنت شهيد» قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «هو في النار»[1] وعن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد».[2]

* الفتوحات الإسلامية ليست عدواناً على الآخرين:

ولا يقول قائل كيف نوفق بين هذا الموقف للإسلام من العدوان وبين توسعه وسيطرته إبان قوته وازدهاره على كثير من بلدان ودول العالم؟

الجواب أنه لا تعارض، لأن التوسع الإسلامي، وبسط السلطان على كثير من بلدان ودول العالم، إنما كان هدفه دفع الظلم والقهر والإهانة والاستعباد، تلك البلايا التي كانت تعاني منها شعوب البلدان والدول.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان: باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق [١٤٠] رقم [١٤٠].

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الديات: باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد [٢٦] رقم [١٤٢١] بهذا اللفظ وقال عنه: هذا حديث حسن.

قال تعالى:

﴿ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة النساء الآيات من: (٧٤ - ٧٧).

ولذلك كانت دعوة المسلمين جهاداً في سبيل الله - تعالى - لا في سبيل التسلط واستعمار الأوض وما عليها ومن عليها. فالجهاد غرض مشروع لمشروعية ونزاهة غايته، ويؤكد صدق هذا الهدف أن المسلمين إبّان استمساكهم بالإسلام واعتزازهم به ما كانوا يكرهون أهل بلد أو دولة ويحرصون على الدخول فيه، وإنما كانوا يطلبون الالتزام بأحكام الإسلام التي تكفل الحرية لشعوبهم، وترفع الظلم والقهر عن المظلومين والمستضعفين ويبقى الناس بعد ذلك يدينون بما يحبون، كما يؤكد صدقه كذلك محبة أهل هذه البلاد المسلمين الفاتحين ودخولهم في الإسلام وتحولهم من مستضعفين إلى أقوياء أعزة يعملون على رفع الظلم عن كل من يعانون منه كما حدث في مصر والمغرب وفي الأندلس. وكثيراً ما يتحول أهل تلك البلاد إلى مدافعين عن الإسلام ومن أسلم منهم يجاهد في نشر دين الله - تعالى -. ولقد امتلأ تاريخ المسلمين الجهادي بالأبطال الذين ضربوا المثل في سمو الجهاد وغاياته في الإسلام، وكان تعاملهم مع أهل البلاد المفتوحة تعامل المنقذ الذي يريد لهم الخير والصلاح والهداية، ومن أمثال هؤلاء الفاتحين الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم أجمعين - ومن الفاتحين في العهود المتأخرة صلاح الدين الأيوبي وقطز ومحمد الفاتح - رحمهم الله تعالى رحمة واسعة -.

التقويم

س١ - ما المقصود بالعدوان الدولي؟ وما أسبابه؟

س ٢ - أكمل الجمل التالية:

١ - من آثار العدوان الدولي:

.....

.....

٢ - تجلى رفض الإسلام الاعتداء بكافة أشكاله وصوره في:

.....

.....

س ٣ - أجب عن الأسئلة التالية:

١ - كيف تثبت بالدليل من التاريخ الإسلامي أن الفتوحات الإسلامية ليست عدواناً على الآخرين؟

.....

.....

٢ - اشرح معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» ثم بين كيف يمكنك تطبيقه في حياتك العملية.

.....

.....

٤ - اذكر بعض الأدلة من الكتاب والسنة تبين موقف الإسلام من العدوان الدولي.

٥ - تعرضت دولة الكويت لعدوان عربي، أثار العالم بأسره! اكتب تقريراً في مجلة الكويت، مبيناً آثار العدوان الدولي عليها (دولة وشعباً)، ثم آثار هذا العدوان على التلاحم والوحدة العربية. (يمكنك الاستعانة بمركز البحوث والدراسات الكويتية).

الدرس الرابع عشر

الوطنية والقومية وموقف الإسلام منها

تمهيد

ظهر مصطلح الوطنية والقومية أول ما ظهر في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إبان مرحلة كفاح الدول الصغرى هناك من أجل التخلص من سيطرة الدول الكبرى، وكان الدافع إليه آنذاك تجميع صف شعب كل دولة من هذه الدول وتوحيد كلمته، وتحريكه من داخله ليستعيد استقلاله ويسترد عزته وكرامته.

ثم انتقل إلى العالم العربي والإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر عندما قامت حركات الكفاح والتحرر من سيطرة المستعمرين حاملة معها الأهداف ذاتها التي أدت إلى ظهوره من قبل في أوروبا.

* أولاً - الوطنية

الوطن هو المكان الذي ينتسب المرء إليه، ويؤدي واجبه نحوه، ويأخذ منه حقه. فيأمن على نفسه وأهله وذويه وماله. فإن لم يتمكن من أداء الواجب نحو هذا الوطن ولم يظفر بحقه منه فليس بوطن. حتى قيل: لا وطن إلا مع الحرية، أو: لا وطن في حالة الاستبداد[1] والوطنية تبعاً لذلك هي الدعوة إلى التجمع والوحدة على أساس الوطن أو الأرض.

والوطنية عند السياسيين والاجتماعيين: الجماعة من الناس تجمعهم رابطة الوطن والجنس واللغة وسائر المصالح سوى الدين[2]

* موقف الإسلام من الوطنية:

والإسلام لا يرفض الوطنية بل يؤيدها، ويحتضنها في الأحوال التالية:

١ - إذا كان المراد بها حبُّ الوطن على اعتبار أنه جزء من بلاد المسلمين والشوق والحنين إليه لاسيما عند مفارقته والغياب عنه.

---

(١) انظر الاتجاهات الوطنية المعاصرة - للدكتور محمد حسين ١/ ٧٠.

(٢) انظر الصحاح في اللغة والعلوم ص ٩٩١، المعجم الوسيط ٢/ ٥٦٨ بتصرف.

وكان بلال بن رباح يتغنى بالحنين إلى أرضه إلى مكة التي خرج منها، فيقول شعراً يهيج من يسمعه:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً ... بوادٍ، وحولي إذخرٌ وجليلُ[1]

وهل أردنْ يوماً مياه مجنةٍ[2] ... وهل يبدوَنْ[3] لي شامةٌ وطفيلُ[4]

فلما علمت عائشة ذلك ذهبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة وأشد، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة»[5].

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يقر ما قاله بلال، ويدعو الله - تعالى - أن يعوضهم بحب المدينة عن حبهم العميق لمكة.

وعن أنس - رضي الله عنه قال - قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم - عن أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[6].

والإسلام ما جاء ليصادم الفطرة وإنما ليسمو بها ويحافظ عليها.

٢ - إذا كان المراد بها وجوب العمل بجدّ وإخلاص من أجل تحرير الوطن من الغاصبين وغرس مبادئ العزّة والحرية في نفوس أبنائه.

إذ هذا من المبادئ التي يقر الإسلام تحقيقها ويدعو إليها في واقع الحياة وفي النفس. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ سورة المنافقون الآية: (٨).

وقال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (١٤١).

٣ - إذا كان المراد بها عمارة هذا الوطن والارتقاء بمستواه المادي والمعنوي. قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ... ﴾ سورة هود الآية: (٦١). فقوله تعالى: «واستعمركم». أي جعلكم عماراً لها تسكنون بها.

---

(١) إذخر وجليل: نباتان من الكلأ طيب الرائحة يكونان بمكة والواحدة: إذخرة، ولا يكادان يوجدان في غيرها. القاموس ٢: ٢١٩.

(٢) مجنة: موضع على أميال من مكة، كان به سوق في الجاهلية. القاموس ٤: ٣٠٠.

(٣) يبدون: يظهر وأبدو: ظهر.

(٤) شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة. معجم البلدان لياقوت ٤: ١٤٠-١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري في ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٤٦ - ومسلم في ١٥ - كتاب الحج ٨٢ - حديث ١٨٠.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٢٧٨ - والبخاري ٥٠ - كتاب الأيمان ٥ - ومسلم ١٥ - كتاب الحج

٤ - إذا كان المراد بها تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه القوة في مصالحهم.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا...» الحديث[1].

ويرفض الإسلام هذه الوطنية في الحالتين التاليتين:

١ - إذا أدت إلى تقسيم الأمة إلى طوائف يبغض بعضها بعضاً ويكيد بعضها لبعض وتتبع لمناهج وضعية ما أنزل الله بها من سلطان، لأن هذا مما يُمكّن الأعداء من رقاب الأمة، وفي ذلك من المفاسد ما فيه - قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية: (١٠٥).

٢ - إذا أدت إلى الإغارة والعدوان على أوطان الآخرين وسلبها واستغلال خيراتها وثرواتها وإذلال أهلها، لأن هذا يتعارض مع ما قرره الإسلام من حرية الدماء والأموال والأعراض. عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال في خطبته في حجة الوداع في يوم عرفة: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا...» الحديث[2].

تعريف الإسلام للوطنية:

وفي ضوء موقف الإسلام من الوطنية، فإن التعريف الجامع لخير الوطنية المنبع من شرعها هو الدعوة إلى اعتبار كل بقعة يعيش عليها من ينطق بالشهادتين أو يخضع لسلطانهما وإن لم ينطق بهما هي الوطن الذي يجب محبته والعمل على تحريره وعمارته وحمايته من الكافرين والمتربصين، أو تحريره إن كان مستعمراً.

فهذا التعريف يوسع دائرة الوطن، ويجعل العمل من أجل إعزازه وإسعاده أمانة في عنق كل مسلم، عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله في سبيل أدائها، كما أنه يقضي على الفرقة بين أبنائه ويمنعهم من إيذاء الآخرين حتى ولو كانوا غير مسلمين مادامو متعاونين على الخير، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الممتحنة الآية: (٨).

---

(١) أخرجه مسلم: ٤/ ١٩٨٥ رقم ٢٥٦٣ في الصحيح كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسس.

(٢) أخرجه مسلم: ٢/ ٨٨٩ - ٨٩٠ رقم ١٢١٨ في الصحيح كتاب الحج باب حجة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ سورة المائدة الآية: (٨).

* ثانياً - القومية:

هي الدعوة إلى التجمع والوحدة على أساس من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة وسائر المصالح سوى الدين.

* موقف الإسلام من القومية:

والإسلام كذلك لا يرفض القومية بل يؤيدها ويحتضنها في هذه الأحوال تبعاً لتعريفها ومفهومها:

١ - إذا كان المراد بها: أنه يجب على الخلف أن يهجروا نهج السلف في مراقي المجد والعظمة، وأن تكون لهم بهم في ذلك قدوة حسنة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ... الحديث»[1].

٢ - إذا كان المراد بها: أن عشيرة الرجال وأمته أولى الناس ببره وبره وإحسانه وجهاده.

عن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال: «شهدت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع وهو يقول: «أمك، وأبك، وأختك، وأخاك، ثم أدناك أدناك»[2].

٣ - إذا كان المراد بها: أننا جميعاً مطالبون بالعمل والجهاد لعلى كل جماعة أن تحقق الغاية في جهتها حتى نلتقي إن شاء الله - تعالى في ساحة النصر. قال - تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ... ﴾ سورة المائدة الآية: (٢).

ويرفض الإسلام هذه القومية في الحالتين التاليتين:

١ - إذا كان المراد بها: إحياء عادات جاهلية دُرِسَتْ، وإقامة ذكريات بالية حلت مع التحلل من رابطة الإسلام وإلقاء حضارته.

---

[1] أخرجه مسلم: ٤/ ٢٠٣١ في الصحيح كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة ٤/ ٢٠٣١ - ٢٠٣٢ رقم ٢٦٣٨، ص ١٩٠

[2] الوارد الجعفي عن الحسن الحاجي في مجمع الزوائد وسع الفوائد ٨/ ١٣٩ - المجلد الرابع

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله وسلم -: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[1].

٢ - إذا كان الحداد بها: الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدي إلى انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها والتضحية بها من أجل العزة والبقاء. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[2] الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي. أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان[3] التي تدفع بأنفها النتن»[4].

* تعريف الإسلام للقومية:

وفي ضوء موقف الإسلام من القومية، فإن التعريف الجامع لشر القومية الناتج من شرها هو التعريف الإسلامي ومضمونه ومحتواه: «الدعوة إلى الترابط والتراحم والتعاون بين الناس على أساس أخوة الإسلام والإنسانية».

هذا التعريف يجعل الناس فريقين: فريق الثقي على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر، فربطت بينهم العقيدة برابطة أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض وواجب كل واحد فيه أن يفدي أخاه بالنفس والمال في أي أرض كان ومن أي سلالة انحدر.

وفريق لم يرتبط إلا برباط الإنسانية، وواجبه نحو غيره من إخوانه التعاون والمسالمة والتراحم والدلالة على الخير، وواجب الفريق الأول نحوه المسالمة ما سالم، وحب الخير ما كف عدوانه عنه، بل دعوته إلى ما فيه خيره وفلاحه في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ... ﴾ سورة الحجرات الآية: (١٠). وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «كونوا إخوانا كما أمركم الله»[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢/ ١٠٢ - ١٠٣ في الصحيح، كتاب الإيمان، باب ليس منا من شق الجيوب.

(٢) العُبِّيَّة: بضم العين وكسرها: الكبر والفخر، وأصلها من العب والعبء: الثقل. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/ ٦١ - المعجم الوسيط ٢/ ٥٧٩.

(٣) الجعلان: جمع جُعَل، كالعصفور، يكثر في المزابل وروث الدواب. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٢٦٦ - المعجم الوسيط ٢/ ١٢٦.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب من الفاخر بالأسباب ٥/ ٣٣٩ - ٣٤٠ رقم ٥١١٦.

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ١٩٨٦ كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم ٤/ ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤، ٣٠

التقويم

س ١ - عرف المصطلحات التالية من منظور إسلامي:

أ - الوطنية.

ب - القومية.

س ٢ - قارن بين مفهوم القومية السائد اليوم عند بعض المفكرين، وبين مفهومها في الإسلام، ورجح ما تراه منها.

س ٣ - أكمل الجمل التالية:

أ - يرفض الإسلام الوطنية في حالتين هما: .....

ب - يقبل الإسلام الوطنية في حالتين هما: .....

جـ - يقبل الإسلام القومية .....

د - يرفض الإسلام القومية في حالتين هما: .....

هـ - ظهر مصطلح القومية والوطنية في ..... خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

س ٤ - قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ... ﴾

أ - ارجع إلى كتاب من كتب التفسير، ولخص معنى الآية.

ب - بيّن سبب نزول الآية الكريمة.

جـ - اربط بين هذه الآية الكريمة وموضوع القومية والوطنية.

س ٥ - قال - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله عزّ وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية...»

أ - أكمل الحديث الشريف.

ب - اشرح معنى عبارة «عُبِّيَّة الجاهلية».

جـ - ما علاقة هذا الحديث الشريف بموضوع الدرس؟

المفهوم الخامس

التشريع الإسلامي

من خصائص التشريع الإسلامي

تمهيد:

إن شريعة نبينا محمد ﷺ خاتمة الشرائع السماوية، وواجب على البشرية جمعاء الالتزام بها والدخول في أحكامها، فهي دين الله الذي ارتضى لعباده، وقد شرع الله فيها تكاليفه على العباد إلى قيام الساعة، وجعل نبيه محمداً ﷺ مرسلاً إلى الناس كافة، فلزم أن تكون هذه الشريعة كاملة وتامة لا تلحقها شائبة، وكيف لا تكون كذلك وهي شريعة إلهية ربانية عاصمة على الوحيين: كتاب الله - عز وجل -، وسنة نبيه ﷺ.

والأحكام العملية والتكاليف التي تضمنتها هذه الشريعة تمتاز على غيرها من الشرائع والقوانين بخصائص تُحدد حملتها بحق الدين الذي يجب أن يسود ويحكم، لما فيه من صلاح الناس جميعاً.

ومن أبرز خصائص التشريع الإسلامي:

١ - يُمهِّد لأحكامه بوازع من الأخلاق:

فقد جاءت أحكام كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية تحتم على الإنسان أن يتحلّى بالفضائل، وأن يتخلّى عن الرذائل ويبتعد عنها، وهذه الأحكام تكفل تربية النفس وتزكيتها، وإيجاد الوازع الديني والخلقي الذي يردع الإنسان عن ارتكاب ما حرّم الله أو التقصير فيما أوجب الله - عز وجل -، وقبل أن تتنزل آيات التشريع التي تفرض العبادات والمعاملات وغيرها كان قد نزل الكثير من الآيات التي تدعو إلى محاسن الأخلاق تمهيداً لهذه الأحكام.

والحكمة من التمهيد للأحكام بالأخلاق:

أ - أن تكون النفس قد تربّت ونهيأت لاستقبال الحكم الشرعي، فإذا تخلّته عن رضا ورغبة، راجية المثوبة من الله والنجاة من عقابه - سبحانه وتعالى -.

ب - الأخلاق الحميدة والوازع الديني يورثان عند المسلم الحقّ مراقبة الله - عز وجل -، وهذا يردعه عن المخالفة ولو لم يكن هناك رقيب من البشر، فيلتزم الأحكام الشرعية في سرّه وعلانيته.

٢ - يتميّز بالتيسير ونفي الحرج:

من رحمة الله بعباده أنه لم يُحمّلهم من التكاليف ما يصعب عليهم القيام به، بل كلّفهم ما يقدرون

عليه ويستطيعون القيام به في يسر وسهولة - قال الله - تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ سورة البقرة الآية: (٢٨٦)، وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ... ﴾ سورة البقرة الآية: (١٨٥)، وقال الله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (٢٨)، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»[1].

ورغم أن التكاليف في التشريع الإسلامي مُيسرة ومقدورة للعباد فقد تعجز النفس عن أداء بعض ما كُلفت به لأسباب طارئة، فرخص لها الشارع الحكيم أن تنتقل إلى ما تستطيعه من تكاليف أخرى تقوم مقامها، أي تُؤخذ لها حين الاستطاعة والقدرة، وذلك بحسب هذه التكاليف، ومن مظاهر اليسر ورفع الحرج في التشريع الإسلامي.

من مظاهر يسر الإسلام:

أ - قلة التكاليف الشرعية: فالأوامر والنواهي مُيسرة على المُكلفين، وإن وُجد في بعضها مشقة فهي محتملة الناس لا يصعب عليهم القيام بها، فمثلاً الصلاة فُرضت في خمسة أوقات في اليوم والليلة، والزكاة المفروضة قدر ضئيل من المال إذا بلغ نصاباً ودار عليه الحول، والصوم فُرض في شهر رمضان من بين اثني عشر شهراً في السنة وذلك على القادر المُقيم، وكذا الحج فُرض مرة واحدة في العمر على المستطيع.

ب - إباحة التيمم بدلاً من الوضوء بالماء لمن خاف الضرر من استعمال الماء، أو لم يجدْ الماء الكافي لوضوئه وخشي فوات وقت الصلاة.

جـ - صلاة المسافر: فقد رخص الله للمسافر تخفيفاً عليه أن يُقصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين، وأن يجمع بين صلاتي الظهر والعصر وصلاتي المغرب والعشاء جمع تقديم أو تأخير.

د - صلاة المريض: فقد رخص الله لمن لا يقدر على القيام أن يُصلي قاعداً وإلا فعلى جنبه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم (١١) باب ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، حديث (٦٩) ومسلم في صحيحه، ٣٢ كتاب الجهاد، ٦ باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث رقم (١٧٣٤).

هـ - إباحة الفطر للمريض والمسافر، فقد شرع الله للمريض والمسافر في رمضان أن يفطرا ويقضيا، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾ سورة البقرة الآية: (١٨٤).

٣ - الجزاء فيه دنيوي وأخروي:

لقد جعل الله الجزاء الحسن والنعيم المقيم في الدنيا والآخرة لمن تمسك بالصراط المستقيم الذي رسمه الله - عز وجل - لعباده وجعل الله الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة لمن خالف تعاليم ربه، ويعرض عن هدي نبيه ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ سورة النحل الآية: (٩٧)، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ سورة طه الآيات من: (١٢٤ - ١٢٦)، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الزلزلة الآيتان: (٧ - ٨)، وقد شرع الله العقوبات الدنيوية لمن يحاربون ويفسدون في الأرض حفاظاً على سلامة المجتمع، كحد الزنى وشرب الخمر والسرقة وغيرها، وشرع القصاص بين الناس، وفوض الأمر للحاكم أن يعزر المفسدين والمحرمين، والتشريع الإسلامي لم يكتف بالجزاء الدنيوي وتشريع العقوبات الرادعة في الدنيا، بل جعل الله - عز وجل - العقاب الأخروي أشد زجراً وأقوى تأثيراً في إبعاد المسلم عن الجرائم والمخالفات، وإنما جعل الله العقاب الأخروي أشد وأقوى لأن الجزاء الدنيوي قد لا يكفي لردع النفوس لسببين:

أ - لأن الذي ينفذ هذا العقاب الدنيوي وهو السلطان أو الحاكم قد لا يكتشف الجريمة، فكثير من الجرائم ترتكب ولا علم للحكام بها ولا يتم الكشف عنها.

ب - إن العقاب الدنيوي لا يكون في جميع المخالفات، فأحيانا مثلاً لا نجد له عقوبة دنيوية مادية رادعة، ولكن يمنع عنه كل من يخشى عذاب ربه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن

جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ سورة البقرة الآية: (٢٧٥).

ومن قتل شخصاً وأفلت من يد القانون فلم يُقتص منه، ولم يُقتص منه، فإنه لن يفلت من رب العالمين في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (٩٣)، ولذلك فقد رتبى الإسلام الناس على حب الفضائل ونبذ الرذائل، لا خشية من عذاب دنيوي وحسب، وإنما رهبة من الله وعقابه، ورغبة في جنته وثوابه.

٤ - صالح لكل زمان ومكان:

دين الإسلام وشرائعه من الله عزّ وجلّ، خالق كل شيء - سبحانه وتعالى - رب السموات والأرض وما بينهما.

قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة السجدة الآيات: (١ - ٣).

وعلى هذا فشرائع الإسلام وتعاليمه متصفة بالكمال، وخالية من معاني النقص والجهل لأنها من عند الله - عزّ وجلّ - المتصف - سبحانه وتعالى - بالكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾ سورة المائدة الآية: (٣).

فكانت هذه الشريعة المباركة محفوظة ومصونة من الغلط والتحريف والتغيير إلى قيام الساعة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الحجر الآية: (٩)، وقال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ سورة هود الآية (١).

وقد أراد الله - تبارك وتعالى - أن يكون الدين الإسلامي ديناً لجميع البشر، والشريعة الإسلامية شريعة

للناس كافة، والقرآن الكريم منزّل للعالمين، ومحمد - ﷺ - رسول إلى الناس كلهم.

وقال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ سورة الفرقان الآية: (١).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾ سورة سبأ الآية: (٢٨)، فلا يقبل الله - عزّ وجلّ - من أحد أي دين أو ملة سوى دينه الذي ارتضاه للناس كافة، ألا وهو دين الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... ﴾ سورة آل عمران الآية: (١٩)، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ سورة آل عمران الآية: (٨٥).

٥ - شمول الشريعة الإسلامية وعمقها:

لقد حكمت الشريعة الإسلامية الأمة الإسلامية وغير الإسلامية عدة قرون، على الرغم من اختلاف الأزمنة والأمكنة والأجناس البشرية، وهذا من أعظم الأدلة على سعة الشريعة الإسلامية وكمالها. والإسلام نظام شامل لجميع شؤون الحياة ولسلوك الإنسان، فهو يستوعب كل ما يحتاجه البشر.

أما القوانين التي تصدر من البشر في مختلف الأزمنة والأمكنة فهي قوانين خاصة توضع لمجموعة خاصة في بيئة خاصة، ولم يستطع واضعو القوانين أن يضعوا قانوناً يصلح لحكم البشرية كلها على اختلاف الزمان والمكان والأجناس.

يقول أحد المهتدين إلى الإسلام لما تحدث عن سبب اعتناقه الإسلام، فقال: ألم يكن الذي حدبني إلى الإسلام تعليماً خاصاً من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية. بالإضافة إلى منهاج الحياة العملية. ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً، ويشد بعضها بعضاً، فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء، فنتج عن ذلك ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور مع جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت مواضعها، وهو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي[1].

---

(١) انظر خصائص الشريعة الإسلامية للدكتور صبحي الأدهمي ص ٥٩.

فرسالة الإسلام ليست رسالة لعقل الإنسان دون روحه، ولا لروحه دون جسمه، ولا أفكاره دون عواطفه، ولكنها رسالة للإنسان كله: روحه، وعقله، وجسمه، وضميره، وإرادته.

والإسلام أيضاً رسالة للإنسان في مراحل حياته: طفلاً، وشاباً وكهلاً، وشيخاً. يرسم له في كل هذه المراحل المنهج الأمثل الذي يحبه الله ويرضاه، وتصلح به دنياه وأخرته.

فنجد في الإسلام أحكاماً وتعاليم تتعلق بالمولود منذ ساعة ولادته، كالأذان في أذنه، واختيار اسم حسن له، وأحكاماً تتعلق بالرضيع ومدة رضاعته، بل اعتنت الشريعة الإسلامية بالإنسان قبل أن يولد وبعد أن يموت، فنجد أحكاماً تتعلق بالجنين ووجوب حمايته والحرص على حياته، ونجد أحكاماً في الشريعة تتعلق بالإنسان بعد موته: من وجوب تغسيله وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه، وكيفية التعزية فيه، والدعاء له، وتفريق وصيته، وقضاء ديونه، وغير ذلك.

٦ - مرن في أحكامه:

الشريعة الإسلامية مرنة، وهذه سمة من سماتها جعلتها صالحة لحكم الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان، ومهما تطورت وارتقت، وذلك لعدة أمور راعتها الشريعة منها:

١ - أن أحكامها وُضعت لكل الأمم، ولم يُراع فيها أحوال أمة من الأمم وبيئة من البيئات دون غيرها. من أجل هذا جعل الله هذه الشريعة مبنية على اعتبار الحِكَم والعلل التي تدركها العقول، فلا تختلف باختلاف الأمم وعوائد الناس.

٢ - وردت نصوص في الكتاب والسنة مجملة ومطلقة، ولم يرد ما يقيدها، وهذا يعطي الشريعة سمة ومرونة، ويجعلها صالحة لحكم حياة الناس كافة. كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ...﴾ سورة البقرة الآية: (١٨٥)، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝﴾ سورة البقرة الآية: (٢٠٥)، وقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1]، وأما أحكام العبادات والزواج والميراث ونحو ذلك من الأحكام التي نصت عليها الشريعة، فهي أحكام لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

٣ - إن الشريعة الإسلامية وضعت سبلاً لعلاج ما يجدّ ويستحدث من أحكام، فقد شرّعت الاجتهاد

---

(١) حديث حسن: أخرجه في ابن ماجه في سننه (٢٣٤٠/٢) كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (٢٣٤٠، ٢٣٤١) وأحمد في المسند (١/ ٣١٣، ٥/ ٣٢٧. انظر إرواء الغليل (٨٩٦).

لتبين أحكام الأمور والمشكلات التي ليس لها حكم منصوص عليه في الشريعة، كما شرعت التعزير لمعالجة الجرائم التي لم ينص الشارع على عقوبة مقدرة لها.

٤ - تركت الشريعة مجالاً واسعاً للعلماء والحكام فيما يتعلق بالأمور المباحة لاسيما في المجال الإداري، والتجاري، والبحري، وهكذا. فأغلب ما يتعلق بهذه المجالات تُرك لأهل الرأي من علماء الأمة كي يدلوا بآرائهم وحكمتهم على ضوء التوجيهات القرآنية والنبوية العامة وفق ما يرونه الأفضل والأصلح، فكل ذلك اجتهادات بشرية متروكة للناس أنفسهم.

التقويم

س ١ - علل لما يلي:

أ - التمهيد للأحكام الخاصة من خصائص التشريع الإسلامي.

.....

.....

ب - الشريعة الإسلامية شريعة إلهية ربانية.

.....

.....

جـ - العقاب الأخروي أشد من العقاب الدنيوي.

.....

.....

د - الوازع الديني عند المسلم أقوى من غيره.

.....

.....

س ٢ - أكمل الجمل التالية:

أ - من مظاهر يُسر الإسلام في التشريعات المختلفة:

.....

.....

.....

ب - ربى الإسلام الناس على حب ..... وبغض ..... خوفاً من .....
وطمعاً في .....

جـ - شرع الله - تعالى - ..... و ..... عقوبات لمن ينحرف ويفسد في الارض.

د - من المخالفات التي ليس لها عقوبات دنيوية رادعة .....

س ٣ - علل لما يأتي:

أ - الشريعة الإسلامية معصومة من الخطأ ومصونة من التحريف.

.....

.....

ب - الإسلام هو القانون العالمي الوحيد الصالح لكل زمان ومكان.

.....

.....

جـ - مرونة الشريعة الإسلامية.

.....

.....

س ٤ - أجب عن الأسئلة التالية:

١ - قارن بين القوانين الوضعية، والقانون الإلهي، مبيناً مدى صلاحية كل منهما في حياة الناس على الأرض وسيادة الشعوب.

.....

.....

٢ - يقول أحد المُهتدين إلى الإسلام: «لم يكن الذي جذبني إلى الإسلام تعليمات خاصة من التعاليم، بل ذلك البناء المجموع والعجيب والمتراص من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهاج الحياة العملية».

علق على هذه العبارة تعليقاً يوضح سمات الشريعة الإسلامية.

.....

.....

٣ - قال رسول الله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» - اشرح المراد من الحديث الشريف.

.....

.....

.....

.....

س ٥ - اشرح الجمل التالية بعبارات مختصرة:

أ - الإسلام نظام شامل للحياة والإنسان.

ب - راعى الإسلام طبيعة الإنسان وفطرته.

جـ - الشريعة الإسلامية مرنة ومتطورة، وصالحة لكل زمان ومكان لوجود سمات خاصة فيها.

س ٦ - اقرأ الفصل الرابع من كتاب (علم أصول الفقه) لعبدالوهاب خلاف، ثم اكتب في كراستك مفهوم قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) والتي تدل على يسر التشريع الإسلامي.

الإسلام دين التوازن والاعتدال

تمهيد:

شرع الله - تعالى - الإسلام، وجعل منه نظاماً يكفل سعادة الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، ولم يترك عنصراً من عناصر الخير والصلاح إلا أمر به ودعا إليه، ولم يترك عنصراً من عناصر الشر والفساد إلا نهى عنه وحذّر منه، وإن الإسلام بنى تشريعاته على الواقع، وهو أن الإنسان جسم وروح، ولا تتحقق سعادته إلا باستكمال حظي الجسم والروح.

* علاقة الفرد مع ربه عزّ وجلّ:

الأساس الذي تقوم عليه علاقة العبد مع خالقه - سبحانه وتعالى - هو كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، ومعناها لا معبود يستحق العبادة غير الله - عزّ وجلّ - والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة: ومن مظاهر عبودية الفرد لربه أن يتوجه إليه في كل شؤونه وأحواله بالتوكل عليه، والثقة به، والخوف منه، والإنابة إليه وتنفيذ شرعه وإقامة دينه.

والأعمال الصالحة تقوي علاقة الفرد بربه، قال تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ سورة الكهف الآية: (١١٠)، والأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها كثيرة جداً منها: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأعمال البرّ كلها.

وهذه العبادات تنظم علاقة الفرد بربه، وتظهر عبوديته لله - تعالى - فالصلاة مثلاً هي الفارق بين المسلم وغير المسلم، ولا يجوز التفريط بها لا في الإقامة ولا في السفر، ولا في حالة الحرب، والتكاسل عنها من صفات المنافقين، وهي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ سورة النساء الآية: (١٠٣)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ سورة العنكبوت الآية: (٤٥)، وقال رسول الله ﷺ: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[1]، وقال ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"[2]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٨٨) كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة (١٣٤).

(٢) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في الجامع (٤/ ١٤) كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة (٢٦٢١)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٤٦).

وكذلك الصيام من العبادات الخالصة لله - عزّ وجلّ -، وفيه تعويد للمسلم على معاني الصبر والإرادة والإخلاص.

والزكاة طهرة للمسلم من داء البخل والشح، وإيثار لله على حب المال، والحج تربية عملية للمسلم، ففيه إظهار لعبودية المسلم لله - عزّ وجلّ - بصورة عملية في الإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار والنحر وغيرها من مناسك الحج.

فالعبادات تزكي نفس الفرد وتهذبها، ومراقبة الله - عزّ وجلّ - في السرّ والعلن تجعله يزجر عن المعاصي ويسارع إلى أعمال الخير، وفي ذلك دعامة لاستقرار المجتمع، بل تجعل العبادة على زيادة الصلة بين الفرد والمجتمع، وتؤدي إلى تعارف أفراد المجتمع وتحسس مشكلاتهم، وبذلك تظهر في المجتمع الأخلاق الحميدة والعدل، والأمانة، والوفاء، والصدق، والكرم، والتعاون، والإيثار.

فمتى ما انتظمت العلاقة بين الفرد وربّه - عزّ وجلّ -، انفتح باب عظيم للعلاقة بين الفرد والمجتمع، وأساس هذه الرابطة عبادة الله - عزّ وجلّ - وتوحيده.

* الإسلام يشبع حاجات الإنسان وينظمها:

يُراعي الإسلام الناس في سائر حاجاتهم الفطرية المشروعة من مطعم وملبس وزينة واستمتاع بكل طيب، وقد جعل الله - تعالى - مساحة الطيب والحلال واسعة، بل جعل الحلال هو الأصل والامتناء هو المحرّم فيضيق في مساحته. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ سورة الأعراف الآية: (١٣٢) وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (١٧٢).

وقصة الرهط الثلاثة الذين جاءوا يسألون عن عبادة النبي ﷺ معروفة، ماذا قال لهم النبي ﷺ؟ قال لهم «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[1]، وحثّ النبي ﷺ على الكسب الحلال، ودعا المؤمن القوي، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[2]، وقال ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف في كل خير»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٥٠٦٣) ومسلم في صحيحه (١٤٠١) كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، حديث رقم (١٤٠١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا هي المنفقة، حديث (١٠٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، (٢٦٦٤) كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله تعالى، حديث (٢٦٦٤).

لكن إشباع الإسلام لحاجات الإنسان لا يعني أن الإنسان يحق له أن ينطلق مع هذه الشهوات حتى تستعبده وتخرج به عن إنسانيته، لذلك أقام الإسلام حدوداً للانتفاع والاستمتاع بما أحل الله ليستفيد من ذلك جميع أفراد المجتمع صيانة للفرد والمجتمع.

والإسلام يقرُّ ويبيّن طبيعة البشر وغرائزهم في حب الشهوات. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ... ﴾ سورة آل عمران الآية (١٤)، وقال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ سورة الكهف الآية: (٤٦). فحب الشهوات غريزة فطر الله الإنسان عليها، ثم جاءت أحكامه وشريعته تنظم تلك الغرائز بلا إفراط ولا تفريط، ليعم بذلك الخير على الفرد والمجتمع.

فنظم الإسلام علاقة الرجل بالمرأة عن طريق الزواج، ووضع لذلك أحكاماً وشرائع، ونظم علاقة الإنسان بالمال وحب التملك بوضع ضوابط شرعية كتحريم الربا وأكل أموال الناس بالباطل وبذلك ينمو المال ويثمر، ويرجع نفعه للفرد والمجتمع على حد سواء. وهكذا جميع أحكام الشريعة الإسلامية، جاءت لتخدم حياة الإنسان فرداً وجماعة، ولذلك كانت هذه الشريعة بحق صالحة لكل زمان ومكان.

* الإسلام يوازن بين الحياتين الدنيا والآخرة:

منهج الإسلام منهج يصلح الدنيا، ويوجه إلى نعيم الآخرة، وهو كما يرفض التبتل والانقطاع عن الدنيا، يرفض التهافت عليها في الوقت نفسه.

هناك من يرى أن التقرب إلى الله - عزّ وجلّ - يقتضي الانعزال والانطواء عن ممارسة الحياة بكل أشكالها، ويرى ضرورة الانقطاع إلى الآخرة وترك الدنيا، وهذا - بلا شك - يخالف منهج الإسلام وروحه الذي دعا إلى أن يكون طريق الآخرة هو العمل المشروع في الدنيا وممارسة الحياة الطيبة كما أرادها الله - عزّ وجلّ -، وقال تعالى رداً على هؤلاء: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ... ﴾ سورة الحديد الآية: (٢٧).

ومثلما ينكر الإسلام الانقطاع عن الدنيا والإعراض عنها، فهو ينكر كذلك التهافت على الدنيا وترك الآخرة. فمتى ما تهافت الإنسان على الحياة الدنيا تراه يركز قواه في خدمة وجوده المادي وبسط سلطانه على من سواه، فيسلك لهذه الغاية كل السبل التي تحقق له مراده، غير مكترث بشيء من جوانب الفضيلة والأخلاق

الحسنة، بل تراه لا يراعي حق الله عليه الذي هيأ له كل هذه النعم، فلا عطف ولا رحمة ولا تعاون بل طغيان ولهو وتفاخر وتكبر وتهافت على الأموال والشهوات.

فالإسلام يرفض منهج التهافت على الدنيا، ويبين أن عاقبة ذلك خسران الدنيا والآخرة. قال تعالى:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن
كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ
وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾
لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة هود الآيات من: (١٥ - ٢٢).

فالإسلام يعيب ويبغض منهج الانقطاع عن الدنيا والرهبنة، كما يعيب ويبغض منهج التهافت على الحياة الدنيا وماديتها.

لذلك فالإسلام يدعو إلى الموازنة بين حظي الجسم والروح، والدنيا والآخرة، فهو منهج وسط لا إفراط فيه ولا تفريط، فالإنسان في واقعه وطبيعته جسم وروح، وكمال سعادته إنما يكون باستكمال حظي الجسم والروح معاً. قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا
وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة القصص الآية: (٧٧).

التقويم

س ١ - اشرح الجمل الآتية:

أ - الأساس الذي تقوم عليه علاقة العبد مع خالقه هي العبودية

ب - العبادة تزكي النفس وتهذبها.

جـ - الإسلام دين يراعي الحياتين الدنيا والآخرة.

س ٢ - أجب عن الأسئلة الآتية:

أ - كيف نظم الإسلام وأشبع حاجات الإنسان الفطرية؟

ب قال رسول الله ﷺ «فمن رغب عن سنتي فليس مني»

ما الحقيقة التي أراد الرسول الكريم في هذا التوجيه الشريف؟

س٣ - قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ... ﴾

ارجع إلى أحد التفاسير، واكتب في كراستك تفسير هذه الآية الكريمة؟

س ٤: بم تعلل:

١ - رفض الإسلام لمنهج التهافت على الدنيا.

٢ - التحذير من الرهبنة في الدين.

٣ - العبادات تزكي النفوس البشرية.

س ٥: اقرأ بعض الفقرات من كتاب (الإسلام في حياة المسلم) د. محمد الدهبي - حول العبادات وعلاقتها بالأخلاق، ثم قدم تقريراً لأستاذك تبين فيه أثر العبادة في علو خلق الفرد.

وحدة الأديان السماوية

الأديان السماوية هي الرسالات التي جاء بها الأنبياء جميعاً منزلة من عند الله - تعالى - فهي دين الله - تعالى - الذي ارتضى لعباده، ومن لدن آدم عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والأنبياء ﷺ.

فمصدرها كلها من الله - عز وجل - المنزل من الواحد الأحد - سبحانه وتعالى - قال الله - تعالى - ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ... ﴾ سورة الشورى الآية: (١٣).

* دين الله هو الإسلام:

لقد ذكر الله - تعالى - في القرآن الكريم أن الدين الذي دعت إليه الرسل واحد هو الإسلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ... ﴾ سورة آل عمران الآية: (١٩)، والمتتبع لآيات القرآن الكريم يرى أن الإسلام شعار عام كان يدور على ألسنة الأنبياء وأتباعهم إلى عهد نبينا محمد ﷺ فهذا نوح - عليه السلام - يقول لقومه ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ... ﴾ سورة يونس الآية: (٧٢)، ومما جاء في القرآن وصفاً للوط - عليه السلام - ومن معه قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الذاريات الآية: (٣٦)، مما جاء على لسان إبراهيم - عليه السلام - ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة البقرة الآية: (١٢٨)، ومما جاء على لسان إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ سورة البقرة الآية: (١٣٢)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة يونس الآية: (٨٤)، وقال تعالى: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۖ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية: (٥٢)، وحين سمع طائفة من أهل الكتاب القرآن في زمن نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة القصص الآية: (٥٣).

يتضح مما تقدم أن ما جاء به الأنبياء والرسل جميعاً هو الإسلام، فما تسمعه من أن موسى - عليه السلام

- جاء باليهودية، وأن عيسى - عليه السلام - جاء بالنصرانية، فهذا من اصطلاح الناس نسبة إلى الجماعة أو القوم وإلا فإن الأديان السماوية كلها من لدن موسى ومن بعده كلها جاءت بالإسلام وهو الدين الذي لا يقبل الله - تعالى - سواه. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة آل عمران الآية: (٨٥).

* اليهودية دعوة الرسل عليهم السلام:

مقصد الأديان السماوية تعبيد الناس لرب العالمين، فلبُّ دعوات الرسل - عليهم السلام - وجوهر الرسالات السماوية، هو الدعوة إلى معرفة الله - عز وجل - وعبادته وحده لا شريك له ونبذ كل ما يُعبد من دونه. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء الآية: (٢٥)، وهذا نوح - عليه السلام - قال لقومه: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ... ﴾ سورة الأعراف الآية: (٥٩)، وهذا إبراهيم - عليه السلام - قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ... ﴾ سورة العنكبوت الآية: (١٦)، وهود - عليه السلام - قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ... ﴾ سورة الأعراف الآية: (٦٥)، وصالح - عليه السلام - قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ... ﴾ سورة الأعراف الآية: (٧٣). وجميع الرسالات السماوية بينت المنكر والباطل ودعت إلى محاربته وإزالته، سواء كان عادة أوثان، أو استعلاء في الأرض، أو انحرافاً عن الفطرة كفعل قوم لوط، أو عدواناً على البشر وأموالهم بقطع الطريق والتطفيف بالميزان كقوم شعيب عليه السلام.

والقرآن يخبرنا أن الرسل جميعاً حملوا ميزان العدل والقسط، قال - تعالى -:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الحديد الآيات من: (٢٥- ٢٧)

* كيف يتحقق إسلام الناس؟

إسلام المرء يكون بطاعته وانقياده واستسلامه لله - عز وجل -، وذلك بفعل ما أمر الله به، وترك واجتناب ما نهى الله - عز وجل - عنه.

فالإسلام عند نوح - عليه السلام - مثلاً، يكون باتباع ما جاء به نوح، وكذلك الإسلام في عهد موسى - عليه السلام - يكون باتباع ما جاء به موسى، وكذا الإسلام في عهد عيسى - عليه السلام -، وفي زماننا هذا لا يتحقق إسلام أحد من الناس إلا باتباع ما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، وإذا كان القرآن الكريم الكتاب الذي أنزله الله - تعالى - على عبده ورسوله ﷺ مهيمناً ورقيباً على الكتب السابقة، يُقرّ ما فيها من حق، ويُبيّن ما دخل فيها من تحريف وتغيير، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ سورة المائدة الآية: (٤٨)، وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1].

والإيمان برسول الله محمد ﷺ يكون باتباع ما جاء به من رب العالمين، فيما أمر به ونهى عنه، وبهذا يتحقق إسلام الناس وترك كل مصادر الهداية حتى لو كان أصلها كتاباً سماوياً لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ... ﴾ سورة البقرة الآية ٢٥٦ ولهذا أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر حين رآه يقرأ بصحيفة من التوراة لأن الله تعالى أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة بالإسلام فلا نحتاج إلى تشريع آخر.

ومن هذا نعلم أن إسلامنا العظيم هو دين الأنبياء جميعاً، وهو الرسالة الأخيرة التي جمعت خير الرسالات، وهدى الله - عز وجل - من آدم - عليه السلام - إلى محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فعلينا أن نعتز بإسلامنا، فهو الدين الذي ارتضاه الله لنا وأتمه وأكمله من أي نقص.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٣٤) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ نسخ الملل بملته، ومن لم يؤمن به كفر، حديث رقم (١٥٣)

التقويم

س ١ - أجب عن الأسئلة التالية:

١ - قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾

أ - ارجع إلى أحد التفاسير واستخرج رقم الآية واسم السورة.

ب - اشرح هذه الآية الكريمة شرحاً موجزاً.

جـ - دعّم هذا القول الكريم بمواقف الأنبياء والرسل - عليهم السلام - من دين التوحيد.

٢ - اذكر جوهر الرسالات السماوية مُدللاً على ما تقول.

س ٢ - أكمل الجمل الآتية بما يُناسبها من كلمات:

أ - الأديان السماوية هي الرسالات

ب - الحواريون هم وقالوا لعيسى - عليه السلام -

س ٣ - قارن بين معنى الإسلام في عهد الأنبياء السابقين على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبين الإسلام المطلوب في زماننا هذا.

س ٤ – أجب عن الأسئلة التالية:

١ – قال الرسول الكريم ﷺ «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

أ – بم أقسم الرسول الكريم ﷺ؟ وعلى ماذا يدل هذا القسم؟

.....

.....

ب – لم استحق الرافض لدين محمد ﷺ هذه العقوبة الوخيمة؟

.....

.....

ج – ما الحقيقة التي يُقرّها الحديث النبوي الشريف.

.....

.....

س ٥ – قم بزيارة لمكتبة المدرسة، ثم اختر كتاباً حول (الأديان السماوية وموقف الإسلام منها)، واكتب تقريراً موجزاً يدعم فهمك لموضوع الدرس.

تعدد الشرائع السماوية

التمهيد

ما من أمة قديماً أو حديثاً إلا ويكون لها نظام أو تشريع ينظم حياتها وعلاقات أفرادها.

وهذه النظم أو الشرائع قد تكون من وضع الإنسان أو من وضع الله - تبارك وتعالى - ومنذ أن أنزل الله تعالى آدم - عليه السلام - من الجنة، أرسل الله الرسل والأنبياء بالشرائع. فما هي حقيقة هذه الشرائع؟

الشرائع نعني بها الجانب العملي الذي ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بالآخرين في المجتمع، وعلاقته بالكون والحياة.

وأما الدين فنعني به العقيدة، وهو من لدن آدم عليه السلام إلى محمد - خاتم الرسل ﷺ واحدٌ لم يتغير ولم يتبدل كما مر بك قريباً، فالعقيدة التي جاء بها الأنبياء والرسل جميعاً واحدة، وأما الشرائع فقد تتفق في كثير من أحكامها، وربما تعددت واختلفت في بعض الأحكام.

● من مواضع اتفاق الشرائع السماوية:

الشرائع كلها تتفق في أمور كثيرة منها:

١ - تحريم الكبائر: كالقتل، والزنى، والربا، وشرب الخمر، والسرقة وأكل المال بالباطل، وعقوق الوالدين.

٢ - التنفير من الرذائل: كالكذب، والفسق، وخلف الوعد والغدر... وما أشبه ذلك.

٣ - الترغيب في الفضائل ومكارم الأخلاق: كالصدق، والوفاء، والأمانة... وما إلى ذلك.

٤ - الدعوة إلى عبادة الله - عز وجل - ومراقبته، والخوف منه، ومجاهدة الأعداء، ودفع الباطل ومحاربته ورفعه، والجهاد في سبيل الله تعالى.

٥ - العبادات المهمة كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. فهذا إسماعيل - عليه السلام يقول الله - عز وجل - عنه ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ سورة مريم الآية (٥٥). وأمر الله - عز وجل - موسى - عليه السلام - بالصلاة، قال - تعالى - ﴿ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة طه الآية (١٤).

وفرض الحج على لسان إبراهيم - عليه السلام -، حيث أمره الله تعالى أن يأمر الناس بالحج قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الحج الآية: (٢٧). والصيام كتبه الله تعالى علينا وعلى الأمم السابقة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ سورة البقرة الآية: (١٨٣).

٦ - مبدأ العدل: فكل الشرائع أمرت بالعدل والقسط. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ سورة الحديد الآية: (٢٥).

* من مواضع اختلاف الشرائع السماوية:

الشرائع اختلفت في أمور يسيرة، ولعل من أهم أسباب ذلك:

١ - ظروف أحوال المكلفين: كالسماح لآدم - عليه السلام - بتزويج بناته من بنيه، فهذا مما أحله الله - تعالى - لهم ثم حرمه بعد ذلك، لأن ظروف حياة بني آدم كانت تحتم مثل ذلك، فلما وجدت بنات العم، وبنات العمة، وبنات الخال، وبنات الخالة، حرم الله زواج الأخت.

٢ - عصيان وتمرد بعض المكلفين: فيشدد الله - عز وجل - عليهم في الأحكام زجراً لهم وردعاً لغيرهم.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ سورة الأنعام الآية: (١٤٦)

* نماذج لبعض الاختلافات في الشرائع السماوية:

١ - عقوبة السرقة كانت على عهد إسرائيل (يعقوب) - عليه السلام - وأبنائه أن السارق يصبح رقيقاً بسبب سرقته، فيسترقه المسروق منه، ولذا جعل يوسف - عليه السلام - صواع الملك في رحل أخيه ليستبقيه عنده، وقد أجابه إخوته بما حكاه الله - سبحانه وتعالى - عنهم: ﴿ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة يوسف الآية: (٧٥)، ولكن عقوبة السارق في شريعة موسى - عليه السلام - إلى نبينا محمد ﷺ هي قطع اليد، فقد قال ﷺ: «إنما أهلك الذين قبلهم أنهم كانوا إذا سرق فيهم

الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[1].

٢ - الصوم: فقد كانت الأمم السابقة تبدأ صيامها من بعد وقت صلاة العشاء إلى غروب الشمس من اليوم الثاني، فيباح لهم الطعام والشراب والنكاح فيما بين غروب الشمس إلى حين دخول صلاة العشاء، ما لم ينم الشخص، فلو نام بين المغرب والعشاء حُرم عليه الأكل والشرب ولم يكن ذلك في العشاء، وقد صام النبي ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - أول الأمر على هذا النحو، ثم خفف الله - عز وجل - عن عباده، ورفع ذلك عنهم، ورخص لهم، فأصبح الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس قال الله - تعالى -: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة الآية: (١٨٧).

٣ - الصلاة: في الأمم السابقة كانت تستلزم محراباً، فلا تصح الصلاة في غير المسجد، أما في شريعة محمد ﷺ فإنها تصح في كل مكان إلا بين القبور أو في الأماكن النجسة، فقال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي» فذكر منها: «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل»[2].

كل رسول قبل نبينا محمد ﷺ كان يُرسل إلى قومه خاصة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ... ﴾ سورة نوح الآية: (١)، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ... ﴾ سورة النمل الآية: (٤٥)، وهكذا في كل الرسل. وأما نبينا محمد ﷺ فقد أرسل إلى الناس كافة على اختلاف أجناسهم وألوانهم وديارهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ سورة الأعراف الآية: (١٥٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾ سورة سبأ الآية: (٢٨)، وقال ﷺ: «وكان النبي يُبعث لقومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس كافة»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: ٦٠ - كتاب أحاديث الأنبياء: باب ٥٤: حديث رقم (٣٤٧٥)، ومسلم في صحيحه: ٢٩ - كتاب الحدود: ٧ - باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود: حديث رقم (١٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: ٨ - كتاب الصلاة: ٥٦ - باب قول النبي ﷺ: «جعلت الأرض لي مسجداً وطهوراً»: حديث رقم ٤٢٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: ٨ - كتاب الصلاة: ٥٦ - باب قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»: حديث رقم (٤٣٨)، ومسلم في صحيحه: ٤ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة: حديث رقم (٥٢١).

فالواجب على جميع البشرية اتباع محمد ﷺ، وطاعة أمره واجتناب ما نهى عنه، وواجب على أتباع الشرائع السابقة كاليهود والنصارى أن يتبعوا شريعة هذا النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ سورة الأعراف الآية (١٥٧).

فالرسول النبي الأمي هو محمد ﷺ، وقد ذكر في التوراة والإنجيل وصفه والثناء عليه وعلى أمته، وهو في شريعته يحل الطيبات التي كانت قد حرمت عليهم بظلمهم، ويضع عنهم التكاليف الشرعية الشاقة التي كانت عليهم، كترك العمل يوم السبت، وعدم مشروعية التوبة من الذنوب إلى تكون التوبة بقتل النفس، وكقطع الثوب إذا أصابته نجاسة.

ولما كان النبي ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ سورة الأحزاب الآية: (٤٠). ولما كان محمد ﷺ مرسلاً إلى الناس كافة، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي ولا رسول بعده، فإن رسالته ودعوته رسالة ودعوة كاملة وافية بمصالح العباد، لا تحتاج إلى من يكملها أو يزيد أو ينقص فيها، حيث جمعت ما تفرق في غيرها من محاسن لتكون دين البشرية جمعاء. قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ... ﴾ سورة المائدة الآية: (٣)، وقد تكفل الله - عزّ وجلّ - بحفظ هذه الشريعة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ سورة الحجر الآية (٩)، فلا تحتاج هذه الشريعة بعد رسول الله ﷺ إلى نبي آخر - كغيرها من الشرائع السابقة - يُصلح ما طرأ عليها من تغيير وتحريف وتبديل.

التقويم

س ١ – عرّف ما يلي:

أ - الدين:

ب - الشرائع:

٢ - بم تتفق الشرائع؟

٣ - قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

ارجع إلى أحد التفاسير ثم سجّل تفسير الآية الكريمة.

٤ - قارن بين الشريعة الإسلامية والشرائع الأخرى في موضوع (عقوبة السارق) مستدلاً على ما تقول من تاريخ الأمم والشعوب.

س ٢ - علل ما يلي

أ - لم تختلف الشرائع السماوية في مبدأ العدل.

ب - العبادات شريعة مهمة في الشرائع المختلفة.

جـ - الشريعة الإسلامية ناسخة لكل الشرائع.

د - اختلاف مُهمّة الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - عن مهمة غيره من الرسل.

س ٣ - أكمل الجمل التالية:

أ - الأمور التي اختلفت فيها الشرائع السماوية

ب - ارجع إلى مكتبة المدرسة أو المكتبة العامة واستخرج الحديث الشريف الذي يذكر تكريم الله - تعالى - لنبيه صلى الله عليه وسلم - بخمسة أمور.

س٤ - من خلال فهمك للموضوع. كيف تُقنع غير المسلمين بشريعة الدين الإسلامي وظهوره على بقية الأديان؟

س ٥ - قم بزيارة إلى (لجنة التعريف بالإسلام) واعقد مقابلة مع مجموعة من المسلمين الجدد وناقشهم في سبب اعتناقهم الدين الإسلامي، ثم سجل ذلك في تقرير موجز، وقدمه في إذاعة المدرسة.

التشريع الذي يجب أن يتداكم الناس إليه

التمهيد

الإنسان في حياته الدنيا لا بد له من أنظمة وقواعد وقوانين يضبط بها حياته في مجالاتها المختلفة: الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، وغيرها.

والإنسان بطبعه سيلجأ إلى تشريع ما يضبط له شؤون حياته وسلوكه في هذه الحياة الدنيا.

ولا بد لهذا التشريع الذي يستحق أن يلجأ إليه الناس جميعاً أن يتصف ويتميز بمعايير وأسس قويمة مؤهلة، تجعله تشريعاً مقبولاً لجميع متطلبات الحياة في كل زمان ومكان، على اختلاف أجناس الناس، وألوانهم، وعاداتهم، وتقاليدهم.

ومن أبرز هذه الأسس والمعايير:

١ - أن يكون قائماً على الحق:

والحق في الشريعة الإسلامية مصطلح ذات قيمة مالية وغير مالية.

لأن هذه الصفة، ستجعله مهيمناً على حياة المجتمع بأسره، ويستسلم له الناس عن رضا ورغبة، لأنه حق لا يمكن دفعه، ولذا يثبت ويبقى في حياة الناس، وأما الباطل فيزول ولا ثبات له في حياة الناس.

ولكن ما التشريع الذي يتصف بهذه الصفة؟

مما لاشك فيه أن ما يقوم به الإنسان من تشريع للقوانين من عند نفسه لا يمكنه أن يصفها بأنها حق، لأنه - يظهر له - حالاً أو مآلاً - قصور هذا التشريع وتناقضه ولهذا نجد كثرة المذكرات التفسيرية التي توضع بين آن وآخر لتُوضِّح معنى بعض فقرات مواد القوانين الوضعية مما يجعل صفة عدم الاستقرار والثبوت صفة لازمة لهذه القوانين.

والتشريع الوحيد الذي يوصف بكونه قائماً على الحق، هو شرع الله عز وجل، وقد وصفه الله - تعالى - بذلك.

قال الله تعالى - : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ... ﴾ سورة الإسراء الآية: (١٠٥).

قال تعالى -: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ سورة الإسراء الآية: (٨١).

قال تعالى -: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الأنفال الآية: (٨).

٢ - أن يكون قائماً على العدل.

فالعدل هو الميزان الذي توزن به الأشياء، وتعرف به قيمتها، وهو وضع الشيء في موضعه، وإعطاء كل ذي حق حقه.

فالتشريع الذي يقوم على العدل ويأمر به سيكون تشريعاً موزوناً، لا ظلم فيه.

وكافة التشريعات البشرية التي وضعها الإنسان من عنده تفتقد هذه الموازنة الدقيقة، لأنها تشريعات قامت على اعتبارات نسبية تخضع لطبيعة الأوضاع والتقديرات البشرية الذاتية، والاعتبار البشري قد تتلاعب به أهواء المشرعين، ورغبات واضعي القوانين.

والتشريع الوحيد الذي يقوم في جميع تشريعاته على العدل، ويأمر بالعدل، هو شرع الله الحنيف، وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن حكيم عليم؟!.

وقد أمر الله - عز وجل - عباده بالعدل بين الناس، قال الله - تعالى -:

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (١٣٥).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (٥٨).

٣ - أن يكون واضح الهدف ومحدد الغاية يحدد وجهة الإنسان في الحياة وهدفه، ويبين له غايته منها. والتشريعات التي وضعها البشر ضمن قوانين وأنظمة غايتها تحقيق غرض أي محدد، ومن يلتزم بها، هدفه وغايته حماية نفسه من العقوبة التي تفرضها الدولة عليه في حالة المخالفة، ولذلك فالإنسان الواقع في دائرة هذه القوانين البشرية الوضعية فإنه لا يحترمها ولا يقدس إرادتها، بل يتحين الفرص للتخلص منها كلما غفلت عنه عين الرقابة والسلطة، أو أحس بتفاهة القانون وضياع المعنى في طاعته، ويؤيد هذا تصاعد أرقام

الجريمة وازدياد عدد المخالفات والحوادث الخارجة على هذه القوانين.

وأما شرع الله - عزّ وجلّ - فغايته وهدفه تحقيق عبودية الله - عزّ وجلّ -، وتحرير الإنسان من كل خضوع وعبودية لبشر، فمن التزم أحكامه في الحياة وامتثل أوامره واجتنب نواهيه، كان له جزاء عادل في الدنيا، وله غاية أخروية ألا وهي الجنة.

الفرد في ظل التشريع الإسلامي يشعر بحمايته هذا التشريع لمصالحه ورعايته لأهدافه وغاياته في دنياه وآخرته.

٤ - أن يكون هذا التشريع متصفاً بالسعة والشمول، حتى لا يحتاج الإنسان إلى تشريع آخر في بعض جوانب الحياة، لكيلا يلجأ الإنسان إلى أكثر من تشريع مما يؤدي إلى الاضطراب والتناقض في حياة هذا الإنسان، وذلك لاختلاف طبيعة المشرعين لهذه القوانين.

ولا نجد تشريعاً أبداً يتسع ويشمل جميع جوانب الحياة سوى التشريع الإسلامي الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان، من قبل أن يولد إلى أن يموت، فينظم حياته ومظاهرها في تنشئته ورضاعه ومأكله ومشربه وملبسه، وسلوكه في الحياة، وعلاقته بأهله وجيرانه وأصدقائه، وغير ذلك مما يحتاجه الإنسان في حياته، ناهيك عن تشريعاته في جوانب السياسة (سلماً وحرباً)، والاقتصاد والاجتماع، وغير ذلك مما تحتاجه الدولة.

٥ - أن يكون متوازناً في تشريعاته غير متناقض:

فلابد لهذا التشريع الذي يستحق أن يلجأ الناس إليه أن تكون جميع أحكامه في جميع مجالات الحياة على نسق واحد يخدم بعضها بعضاً، فتراها متوافقة لا تناقض بينها.

وكافة القوانين الوضعية التي هي من صنع الإنسان وتشريعه تفقد هذا الجانب، واضطراب الأحكام من لوازمها.

فمثلاً: نجد بعض هذه القوانين التي تبيح شرب الخمر للأفراد، وتسمح ببيعها في أسواقها، نجدها تعاقب من يقع في الجريمة المترتبة على السكر، وهذه القوانين هي التي مهدت لهم الوقوع في هذه الجريمة بإباحة الخمر وهي التي تعاقبهم بعد ذلك.

وهذا كله بسبب تعدد المشرعين واختلاف نزعاتهم وقصور معرفتهم عن إدراك الحقيقة والمصلحة.

وأما شرع الله - عزّ وجلّ - فأحكامه وتشريعاته تشكل وحدة موضوعية متكاملة ومتجاوبة يساند بعضها

بعضاً، ويساعد بعضها على تطبيق البعض الآخر، فتحريم الخمر والقمار مثلاً يسد باباً واسعاً من أبواب الجريمة، والنهي عن الصلاة في الأرض المغصوبة يمنع الناس من التعدي على أملاك غيرهم. فالإسلام ربط وأحكم العلاقة بين كل قوانينه وتشريعاته، فلم يعالج قضاياه بشكل مُجزأ.

٩ - أن يهتم بالأخلاق ويدعو إليها:

فلا بد لهذا التشريع الذي يرغب إليه الناس ويحكّمونه فيما بينهم، أن يهتم اهتماماً كبيراً بأخلاقهم من خلال أحكامه وتشريعاته، لما لذلك من أثر واضح في امتثال الناس لتلك الأحكام والتشريعات، فالأخلاق الحسنة التي انغرست في وجداناتهم أوجدت لديهم الوازع في احترام هذه الأحكام والتشريعات.

ولا نجد تشريعاً كتشريعة الإسلام يدعو الناس إلى محاسن الأخلاق، ويربط بها أحكامه وتشريعاته في حياة الناس، فالتشريعات الوضعية - مثلاً - لا تمنع الأفراد من البيع على بيع الآخرين، أو خطبة الرجل لامرأة هي مخطوبة لغيره، لأن العبرة في أحكام هذه التشريعات الوضعية هو إبرام العقد وتسجيله، فإذا تم ذلك فلا مانع لديها من بيع الرجل على بيع أخيه أو خطبته على خطبة أخيه، وغير ذلك من تصرفات منافية الأخلاق.

بينما نرى أن الشريعة الإسلامية تدعو إلى مكارم الأخلاق، وترى أن أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً. فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، حتى يترك ذلك أو يأذن من قبل أولياء المرأة مثلاً.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ يجد التشريع الإسلامي مشبعاً بروح الأخلاق، ملتزماً بغرسها وحمايتها في كل جوانب الحياة.

وإن من أبرز المعاني والصفات الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام وحضّ عليها شارعه، وكانت سمة من سمات المجتمعات الإسلامية: التراحم في الأسرة والمجتمع، وبر الوالدين، والصدق والرفق، والإحسان والوفاء، والبذل والعطاء، ونصر المظلوم، وما إلى ذلك مما حث عليه القرآن الكريم وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وقد كانت هذه الصفات كلها ممثلة في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقد كان خلقه القرآن.

ولو قرأت أي كتاب في القانون الوضعي لا تجد ذكراً للجانب الأخلاقي في حياة الناس وهي في القالب مواد قانونية صيغت صياغة جافة لا تخاطب فطرة الإنسان ولا روحه.

التقويم

س١ - بم تعلل:

أ - حاجة الإنسان إلى التشريعات المختلفة في حياته.

ب - من أبرز معايير التشريع أن يكون قائماً على الحق.

جـ - قصور التشريعات البشرية عن تلبية حاجات الإنسان

س٢ - بم تعرف:

أ - العدل.

ب - التشريع الإسلامي.

س٣ - قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ... ﴾

اقرأ الآية الكريمة السابقة ثم أجب:

أ - وضح معنى القسط، وبم يتحقق؟

ب - كيف توظف هذه الآية الكريمة في حياتك كمسلم؟

س٤ - قارن بين أهداف التشريع الرباني وأهداف التشريع البشري. وما مدى صلاحية التشريعات البشرية في حياة الناس؟

س٥ - أعط مثالاً من الواقع، تبين فيه كيف يكون التشريع الإسلامي غير متناقض في جميع مجالات الحياة.

س٦ - (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).[1]

أ - من قائل هذه العبارة؟

ب - وما مكارم الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام؟

جـ - من التاريخ الإسلامي العظيم، اذكر مثالاً على حسن أخلاق المسلمين وتحليهم بالفضائل.

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب حسن الخلق وجزء الأحاديث ج ١ ص ١٧٢.

مقارنة بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية ونظيرها في القانون الوضعي

التمهيد

مما لا شك فيه أن تشريعات البشر قاصرة، مردُّ هذا القصور إلى خضوع العقل البشري الأهواء، وتأثره بما يحيط به، ونظرته الضيقة التي لا تتعدى المكان والزمان اللذين يعيش فيهما، كما أن العقل البشري نفسه متقلب، يستحسن اليوم ما يستقبحه غداً، بل عقول المشرعين والمقننين متفاوتة، فما يعده أحدهم حسناً، قد يعده الآخر قبيحاً.

أما الشريعة الإسلامية فهي تشريعات رب العالمين، الذي يعلم من خَلَقَ وهو اللطيف الخبير، واسع العلم الذي لا يحد علمه زمانٌ ولا مكانٌ - سبحانه وتعالى - الذي يسوي بين خلقه من حيث إنهم عبيده، وهو ربهم الذي سخَّر الكون لصالحهم وزادهم على نعمه، فهذا الإله - سبحانه وتعالى - لا شك أن تشريعه هو الأكمل والأتم.

وسنعرض في المقارنة إلى حد الزنى ومقابلهُ في القوانين الوضعية وحد الحرابة ومقابلهُ في القانون الوضعي.

أولاً - حد الزنى:

(أ) عقوبة الزاني في شرع الله - عز وجل -

لا شك أن جريمة الزنى من الجرائم التي تهدد أمن الفرد والمجتمع، وقد وضع لها الشارع الحكيم عقوبات رادعة - كما مرَّ معك في المفهوم الثالث من هذا الكتاب -، وهي:

١ - جلد مائة وتغريب سنة، لمن وقع منه الزنى قبل أن يتزوج.

٢ - الرجم حتى الموت لمن وقع منه الزنى بعد أن تزوج.

قال الله تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة النور الآية: (٢)

وقال ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهنَّ سبيلاً الثيب بالثيب، والبكر بالبكر، الثيب جلد مائة

ثم رجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة»[1]

فلشناعة هذه الجريمة، ولخطرها العظيم على النسل والأعراض كانت هذه العقوبة الرادعة لمرتكبيها، صيانة للفرد والمجتمع.

(ب) عقوبة الزاني في القوانين الوضعية:

١ - معظم قوانين العقوبات الوضعية في الدول العربية يساير القانون الفرنسي ويأخذ عنه. فهو لا يعاقب على الزنى نفسه كجريمة، بل يبيحه إذا حصل بين اثنين غير متزوجين بشرط أن يكون سنّ البنت تجاوز ثماني عشرة سنة، متى حصل ذلك برضا الطرفين؟!

أما إذا حصل بإكراه أو كان سنّ البنت أقل من سنّ الثامنة عشرة، كانت العقوبة الحبس فقط؟!

وبعض القوانين العربية تعاقب على ذلك، ولو كان برضى الطرفين إذا ضبطا متلبسين بالجريمة بالحبس مدة لا تجاوز ولا تقل عن ستة أشهر؟!

٢ - وإذا كان الرجل متزوجاً فما عقوبته إذا زنى؟

تنص بعض القوانين على أن الزوج لا يعاقب على جريمة الزنى إلا إذا تكررت الجريمة منه وفي بيت الزوجية.

فالعقوبة هنا على عدم احترام الزوج لبيت الزوجية، وبشرط تكرار الجريمة فيه وعقوبته المالية لا تجاوز ما يعادل مائة دينار كويتي وفي الوقت ذاته يعاقب الزوج الذي يعقد زواجه بأخرى قبل انحلال رابطة الزوجية الأولى بالأشغال الشاقة. فتعدد الخليلات والعشيقات أهون بكثير في نظر بعض القوانين من تعدد الزوجات.

٣ - وأما إذا زنت الزوجة، فقد نصت عامة القوانين الوضعية في الدول العربية وغيرها، على اعتبار ذلك خيانة زوجية، وللزوج الحق أن يطلب تعويضاً مالياً من الزاني بزوجته، ويرى الجاني سماحته من العقوبة.

وكانت النتيجة لكل ذلك شيوع الأمراض بين الجنسين واختلاط الأنساب وشيوع مظاهر الانحلال في المجتمعات.

ثانياً - حدُّ الحرابة:

الحرابة: هي قطع الطريق على الآمنين، والإفساد في الأرض، وترويع الناس، والخروج لأخذ المال من الناس بالمغالبة والإكراه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود باب حد الزنى والثيب في قول، حديث رقم ٣٢٠٠

أ - حكم الحرابة في الإسلام

قاطع الطريق محارب لله ورسوله ﷺ، وقد جاء في كتاب الله - عز وجل - بيان حده بما يعرف عند أهل العلم بآية الحرابة، قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣٤ ﴾ سورة المائدة الآيتان: (٣٣ - ٣٤)

ذكر العلماء أن الآية الكريمة دلت على تنوع عقوبة الحرابة حسب الجناية والجريمة، فيكون قوله (أو) للتنويع، وتتلخص العقوبة في التالي:

١ - من قتل، وأخذ المال، عقوبته القتل والصلب.

٢ - من قتل، ولم يأخذ المال، عقوبته القتل.

٣ - من أخذ المال، ولم يقتل، وأخاف الناس، عقوبته أن تقطع من خلاف، فتقطع يده اليمنى ورجله اليسرى.

٤ - من أخاف الناس، ولم يقتل، ولم يأخذ مالاً، نفي من الأرض التي ارتكب فيها جريمته.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن «أو» في الآية للتخيير، فللحاكم أن يختار من هذه العقوبات ما يردع به الجناة، ويحفظ به أمن المجتمع، فقد ينزل على المجرم عقوبة القتل بمجرد قطعه للطريق وإخافته للناس وترويعهم، وإن لم يقتل ولم يأخذ المال.

ومن مظاهر الحرابة في زماننا:

تفجير القنابل والسيارات المفخخة لإثارة الرعب بين الناس، وعمليات الخطف والاغتيالات، والعصابات المنظمة للسطو على البيوت والبنوك وغير ذلك، كما يمكن اعتبار تجار المخدرات من المفسدين في الأرض أيضاً.

ومن حكمة شرع الله - عز وجل - في إقامة حد الحرابة:

١ - صيانة النفس والمال والعرض.

٢ - ومنعاً للفساد في الأرض، وحرصاً على المجتمع من الفتنة واضطراب أحواله.

٣ - وتأميناً للسفر والتنقل والسياحة، وحفاظاً على طرق التجارة بين البلدان.

ب - حكم الحرابة في القانون الوضعي:

وقد لجأ القانون الوضعي إلى تجزئة جريمة الحرابة بحسب نوع الجريمة، ولم يأت بحكم رادع للمحاربين، فإذا نظرنا إلى حكم القانون في أشد جريمة يقوم بها قاطع الطريق ألا وهي القتل، نرى مدى تساهله وتناقضه، وبيان ذلك فيما يأتي:

١ - القوانين الوضعية لا تقوم بإعدام القاتل إلا أن يكون القتل وقع منه مع سبق الإصرار والترصد، ويجوز للقاضي أن ينزل بهذه العقوبة إلى الحبس المؤقت لمدة ثلاث سنوات.

٢ - وأما إذا كان القتل وقع عمداً من القاتل، ولكن بدون سبق إصرار وترصد، فإنه لا يقتل أبداً. وعقوبته في بعض القوانين الحبس المؤبد، وقد يخفف عنه القاضي الحكم إلى الحبس ثلاث سنوات، وبعض القوانين قد يخفف عنه الحبس إلى ستة أشهر مع وقف التنفيذ.

ومؤدى هذا أن من أراد أن يقتل شخصاً فما عليه إلا أن يكون حذراً محتالاً ليفوت على القانون مسألة سبق الإصرار والترصد.

والنتيجة النهائية لكل ما سبق امتلاء السجون بهؤلاء المجرمين الذين امتخضوا دماء الناس وأموالهم فأصبحت السجون تشكل مرتعاً لهؤلاء القتلة توفر لهم الرعاية الصحية والترفيهية وغيرها وتركوا الضحية يرزح بحمل هذه الجريمة!

التقويم

س١ - اعقد مقارنة متوازنة بين التشريع الوضعي والتشريع الإلهي مبرزاً الجوانب التالية:

أ - الدوام والاستمرار في كل منهما.

ب - التكامل والشمول في كل منهما.

س٢ - قال - تعالى - في سورة النور: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾

أ - ما الحكم الإسلامي الذي تشرعه هذه الآية الكريمة.

ب - بم تعلل شناعة عقوبة الزاني في الإسلام؟

س٣ - تحدث باختصار حول الآثار السلبية المتهاون في جريمة الزنى على المجتمع المسلم.

س٤ - ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة فيما يلي:

أ - للزوج أن يطلب تعويضاً مالياً من الزاني بزوجته في القوانين الوضعية. ( )

ب - ولاية الأب في الإسلام على ابنته تمتد إلى زواجها. ( )

جـ - أشهر القوانين المتبعة في الدول العربية القانون الأمريكي. ( )

د - يعاقب الإسلام الزانية في حالتي الإكراه والرضا. ( )

هـ - للحاكم أن يختار ما يناسب الموقف في تنفيذ حد الحرابة ( )

س٥ - ما رأيك بالمواقف التالية:

أ - لا يعاقب الزانيان إذا كانت الممارسة برضاهما.

ب - جريمة الزنى الفعلية في القانون الوضعي ما كانت في بيت الزوجية.

جـ - رفض بعضهم لشريعة تعدد الزوجات

د - عمليات الإرهاب المختلفة في بعض الدول وترويع الآمنين.

هـ - شركات التأمين على الممتلكات في حال السفر الموجودة في الدول المختلفة.

س٦ - قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾

اكتب عقوبة الحرابة من خلال مفهومك للآية الكريمة السابقة.

س٧ - أكمل الجمل التالية:

أ - الحرابة هي قطع الطريق على الآمنين و .....

ب - من الحكمة الربانية في إقامة حد الحرابة:

.....

.....

جـ - لا تُعدم القوانين الوضعية القاتل إلا في حالة .....

د - القصاص في الشريعة الإسلامية هو .....

س٨ - قارن بين عقوبة القاتل وأحواله في القانون الوضعي وفي القانون الإسلامي.

.....

.....

المفهوم السادس

المسلم يقبل على كتاب

الله – تعالى – وسنة رسوله (ﷺ)

قارئاً ومتعبداً ودارساً وحافظاً

القرآن الكريم هداية الله العالمين

* تقديم:

خلق الله - تعالى - الإنسان وكلّفه عمارة الأرض والعزول على حكمه في كلّ شؤون حياته، قال - تعالى - ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾ سورة البقرة الآية: (٣٠)

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ... ﴾ سورة الذاريات الآية (٥٦)، وشرع له حكمه في وجه المُنزل على الأنبياء والمُرسلين وجمع خلاصة هذا الوحي في الذكر الذي أنزله على نبيه ورسوله ﷺ كتاباً وسنّة.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ... ﴾ سورة المائدة الآية: (٤٨)، وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ... ﴾ سورة المائدة الآيتان: (١٥ - ١٦)، وحتى يقبل المسلم على هذا الوحي قراءة وتعبّداً ودراسة وحفظاً وبلاغاً وحماية من عدوان المعتدين، كان لزاماً أن يعرف ماهيته وجوانب هدايته على النحو التالي:

أولاً - تعريف القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله المُنزل على محمد ﷺ باللسان العربي المُعجز بلفظه ومعناه بوساطة جبريل - عليه السلام -، المنقول إلينا بالتواتر كتابة وحفظاً، المُتعبّد بتلاوته، المُصدق للكتب السماوية السابقة قبل أن يُصيبها التحريف، المُهيمن عليها، الجامع خير الدنيا والآخرة، الذي تكفّل الله بحفظه فقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ... ﴾ سورة الحجر الآية: (٩)

ثانياً - أهم جوانب الهداية في القرآن الكريم:

وجوانب الهداية في القرآن الكريم كثيرة وأهمها:

١ - تعريف الناس بخالقهم:

وما له من صفات الكمال والجلال، وكذلك بالعاقبة والمصير ودورهم ورسالتهم في الأرض قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ... ﴾ سورة الروم الآية: (٤٠)

٢ - تعريف الناس ما لهم وما عليهم:

نحو ربهم ونحو دينهم ونحو أنفسهم ونحو غيرهم من الآباء والأولاد والأهل والأرحام والأصدقاء والأعداء والحيوان، بل نحو باقي المخلوقات من الملائكة والجن والشياطين والدواب والطيور وغيرها ليهتدي من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ... ﴾ سورة الإسراء الآية: (٩)

٣ - تصديق الكتب السماوية السابقة الصحيحة:

ليقوى إيماننا بهذه الكتب وبالرسل الذين أنزلت عليهم هذه الكتب كما قال سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾ سورة آل عمران الآية: (٣)

٤ - لفت النظر إلى علو مكانة الكتب السماوية السابقة:

قبل أن يُصيبها ما أصابها من تحريف وتغيير لتزداد احتراماً وتوقيراً لهذه الكتب كما قال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ... ﴾ سورة آل عمران الآيتان: (٣ - ٤) ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾ سورة المائدة الآية: (٤٤)، ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ... ﴾ سورة المائدة الآية (٤٦)

٥ - لفت النظر إلى ما أصاب الكتب السماوية السابقة:

من إخفاء وتحريف لنكون على بينة مما يصل إلينا من محتوى ومضمون هذه الكتب فنُطبق ما أرشدنا إليه النبي ﷺ في التعامل مع هذه الكتب بأن نُصدق ما وافق كتاب الله، ونُكذب ما خالفه، ونختار المناسب فيما سكت عنه قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ... ﴾ سورة المائدة الآية: (١٥)

٦ - وضع الأناة والعبرة وزاد الطريق بين أيديها

تثبيت القلوب من خلال القصص القرآني قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ... ﴾سورة يوسف الآية: (١١١)

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ... ﴾ سورة هود الآية: ١٢٠

٧ - بيان جزاء من تبع هدى الله وعقاب من أعرض عن ذلك:

قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ... ﴾ سورة طه الآيات من: (١٢٣: ١٢٧)

٨ - تعريف الناس بأعدائهم من الجن والإنس:

وأمثل الطرق للتعامل مع هؤلاء الأعداء قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ... ﴾ سورة فاطر الآيتان: (٥ - ٦)، قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ... ﴾سورة الزخرف الآيتان: (٣٦ - ٣٧)

٩ - مداواة النفوس مما يصيبها من أمراض:

وأجمعها - كما يقول ابن تيمية - رحمه الله - مرضا الشبهات والشهوات حيث يعرض الشبهات التي يثيرها شياطين الإنس والجن ويجيب عنها شبهة شبهة ويبين أصناف الشهوات ومخاطرها وسبل التغلب عليها واحدة واحدة. قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾سورة الإسراء الآية: (٨٢)، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ... ﴾ سورة يونس الآية: (٥٧)

وعلى سبيل المثال يجيب عن شبهة مادام الله حيًا لا يموت فلم لا نراه؟ بقوله سبحانه ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ

الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ... ﴾ سورة الأنعام الآية (١٠٣)، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ... ﴾ سورة الشورى الآية (١١)، ويُبيِّن خطر الخمر وينهى عنها بقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ... ﴾ سورة المائدة الآيتان: (٩٠ - ٩١)

١٠ - بيان حاجة الناس إلى الرسل والرسالات:

بقوله سبحانه: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ... ﴾ سورة النساء الآية: (١٦٥)

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ... ﴾ سورة المائدة الآية: (١٩)

ومن عدل الله تعالى أنه لا يُعذب قومًا حتى يبعث لهم رسولاً - قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ... ﴾ سورة الإسراء الآية: (١٥)

وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ... ﴾ سورة طه الآية: (١٣٤)

١١ - تزكية النفوس وزيادة الإيمان في القلوب:

كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ... ﴾ سورة الأنفال الآية: (٢)

وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ... ﴾ سورة الزمر الآية (٢٣)

١٢ - بيان خصائص هذه الأمة وأنها خير الأمم

وأنها الشاهد على العالمين. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ سورة آل عمران الآية: (١١٠)، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ سورة البقرة الآية: (١٤٣)

١٣ - وأن هذا القرآن في ضوء ما تقدم وغيره مُنزل من عند الخالق

وليس لأي مخلوق أثر فيه، قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ سورة الفرقان الآية: (٦)، ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ سورة الشعراء الآيات من: (١٩٢ - ١٩٥)

والواجب حينئذ هو الاستمساك بهذا الكتاب وعدم الرضا بغيره بديلاً. قال تعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ... ﴾ سورة الزخرف الآيتان: (٤٣ - ٤٤)، ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ... ﴾ سورة الأنعام الآية: (١٥٥)

التقويم

س١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ- بم تعرّف القرآن الكريم تعريفاً متكاملاً؟

ب - وضّح - باختصار - دور القرآن الكريم في إثبات حقيقة الرسالات السماوية السابقة.

جـ - اكتب أمام الحقائق التالية ما يؤيدها من آيات كريمة.

- في القصص القرآني عبرة وعظة.

- الجزاء في الإسلام من جنس العمل.

- القرآن الكريم علاج للأمراض النفسية.

- الحقائق العلمية لا تتعارض مع القرآن الكريم.

س٢ - قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

- ما رقم الآية الكريمة في المصحف الشريف؟

- اكتب معنى العبودية المقصود في الآية الكريمة السابقة.

- اكتب آية كريمة أخرى تؤيد معنى هذه الآية السابقة.

س٣ - قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾

- ارجع إلى كتب تكوين الأرض العلمية، وحدد الحقيقة التي تشير إليها الآية الكريمة السابقة.

- اذكر حقيقة علمية أخرى جاء ذكرها في القرآن الكريم، ثم اشرحها.

س٤ - أكمل الجمل التالية:

أ- خلق الله الإنسان وكلفه بأمرين هما ..... و .....

ب - كانت حاجة الإنسان للرسل ماسة وذلك .....

جـ - إذا قرأ الإنسان القرآن الكريم زاده ..... و .....

د - الأمة الإسلامية خير ..... أخرجت للناس لأنها .....

السنة النبوية صنو القرآن

* تقديم:

عرفت فيما مضى أن الوحي المنزل من عند الله - عز وجل - يشمل الكتاب والسنة لقوله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[1]، ولذلك كانت صنو القرآن يعني: نظيره ومثله، وحتى يعطيها المسلم حقها من الاتباع بكل أشكاله وصوره، لزم التعرف على ماهيتها ومنزلتها من التشريع عموماً ومن القرآن على وجه الخصوص، وأهم جوانب الهداية فيها، وذلك على النحو التالي:

أولاً - تعريف السُّنة النبوية:

١ - لغة:

تطلق السُّنة لغةً على معانٍ منها: الطريقة والسيادة، والسيرة حميدة كانت أو ذميمة.[2]

٢ - اصطلاحاً:

ما أضيف إلى النبي ﷺ من قوله أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية.

٣ - شرعاً:

العمل المحمود في الدين مما ليس فرضاً ولا واجباً[3]، وهي أيضاً: ما قابل البدعة.[4]

والمُراد بالسُّنة هنا: المعنى الاصطلاحي ويدخل فيه بالضرورة المعنى الشرعي.[5]

ثانياً - منزلة السُّنة من التشريع الإسلامي:

وتتلخص منزلة السُّنة من التشريع الإسلامي في:

١ - أنها وحي من عند الله كما أن القرآن وحي من عند الله - قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾ سورة النجم الآيتان: (٣ - ٤)

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب في لزوم السنة ٤/٢٠٠ رقم ٤٦٠٤

(٢) انظر المعجم الوسيط ١/٤٩٩ بتصرف.

(٣) انظر توجيه النظر لتنقيح ظفر الجزائري ١/٤٠ بتصرف.

(٤)، (٥) انظر: الحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهو ص ١٠ بتصرف.

٢ - أنها مصدر أصيل من مصادر التشريع مثلها مثل القرآن سواء بسواء.

٣ - أنها واجبة الاتباع كما أن القرآن واجب الاتباع.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الحشر الآية: (٧) وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة النور الآية: (٦٣)

ثالثاً - منزلة السُّنَّة من القرآن الكريم:

وتتضح منزلة السُّنَّة من القرآن الكريم في:

١ - أنها تأتي مؤكدة للقرآن الكريم كقوله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[1] فإن هذا الحديث تأكيد لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة هود الآية: (١٠٢)

٢ - أنها تأتي مُبَيِّنة وشارحة للقرآن تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ... ﴾ سورة النحل الآية: (٤٤)، ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ... ﴾ سورة النحل الآية: (٦٤)، وبيانها وشرحها للقرآن تارة يكون بتفصيل المجمل كتفصيل أحكام الصلاة والزكاة والحج وغيرها.

٣ - أنها تأتي بأحكام سكت عنها القرآن كقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[2]

رابعاً: أهم الجهود التي بذلها العلماء في صيانة السُّنَّة ونشرها بين الناس:

وقد بذل العلماء جهوداً ضخمة في صيانة السُّنَّة ونشرها بين الناس، ومنها:

١ - الحفظ في الصدور:

لقد حرص الصحابة على حفظ كلّ ما كان يصدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، بل حتى الصفات

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التفسير (٤/ ٩٢) سورة هود باب قوله: ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴾ (٤/ ٩٢١٦) ومسلم في الصحيح كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٧) رقم (٦٥٨٣/ ٦١).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد باب لا يعذب بعذاب الله (٤/ ٢٧٥٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: رقم الحديث (٣٠١٧).

الخلقية والخُلقية التي كان عليها وعزها وحفظوها وبلّغوها لتلاميذهم، وهكذا كل جيل كان يُحفظ ويبلغ بقدر ما أتيح له من الحفظ والبلاغ، وقد حبا الله - تعالى - العرب بملكة حفظ عجيبة.

٢ - التدوين:

يعني جمع ما تفرّق من الحديث في ديوان واحد، وقد قام بهذا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وغيره من تطاول العلماء بأمر الخليفة عُمَر بن عبدالعزيز رضي الله عنه حتى يكون هذا الديوان بمثابة مرجع يُرجع إليه عند الاختلاف والحاجة.

٣ - التصنيف:

وهو وصف الشيء مع نظيره مع الالتزام بالصحيح كما صنع مالك في (الموطأ)، وكما صنع البخاري ومسلم في صحيحيهما أو مع خلط الصحيح بغيره كما صنع أبوداود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم في سننهم، أو وضع مرويات الصحابي جميعاً إلى جوار بعضها، كما صنع أبو داود الطيالسي والحميدي وأحمد بن حنبل وغيرهم في مسانيدهم.

٤ - إنشاء المراكز العلمية لتعليم الحديث وتدريسه:

كمدرسة الحديث في مكة، ومدرسة الحديث في المدينة، ومدرسة الحديث في الشام، ومدرسة الحديث في مصر، ومدرسة الحديث في اليمن، ومدرسة الحديث في الكوفة، ومدرسة الحديث في البصرة. ثم كان التوسع في هذه المراكز حتى صار في كلّ بلد أكثر من مركز أو مدرسة.

٥ - تمييز الأحاديث المقبولة من الأحاديث المردودة:

وفي سبيل ذلك كانت كتب التخريج للأحاديث المبثوثة في كل العلوم من تفسير وحديث وفقه وأصول وتاريخ وسيرة ولغة وأدب ومواعظ وعقائد ونحوها.

٦ - بيان حالة الرواة تاريخاً وقبولاً وردّاً:

وقد صُنفت في ذلك كتب كثيرة من أبرزها (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للحافظ جمال الدين المزّي (ت ٧٤٢هـ)، (وتهذيب التهذيب) للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) وغيرهما.

٧ - وضع قواعد لمعرفة المقبول من غير المقبول:

وهي التي تُسمى: مصطلح الحديث أو أصول الحديث أو علوم الحديث مثل:

(اختصار علوم الحديث) لابن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، ومثل (مقدمة ابن الصلاح).

٨ - شرح غريب الأحاديث:

وقد اختصت كتبٌ ببيان ما في الأحاديث من بلاغة وبيان مثل: (أعلام الحديث) الخطّابي (ت ٣٨٨هـ)، ومثل: (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، ومثل: (الفائق في غريب الحديث) الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ومثل (النهاية في غريب الحديث والأثر) للمبارك أبي السعادات مجد الدين المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).

٩ - بيان الناسخ والمنسوخ من الحديث:

مثل (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ) من الآثار لأبي بكر الحازمي ت٥٨٤هـ وغيرهم

١٠ - شرح الأحاديث واستخلاص الأحكام منها:

مثل: (نيل الأوطار) لمحمد بن علي المعروف بالشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، و(سبل السلام) لمحمد بن إسماعيل المعروف بالصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، و(فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ وغيرهم.

وبعد هذا البيان يصعب القول بأنه يمكن الاستغناء عن السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم لأننا عامنا أنها صنو القرآن.

التقويم

س١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - عرّف السنة النبوية: لغة، واصطلاحاً، وشرعاً.

ب - وضّح - باختصار - منزلة السنة من التشريع الإسلامي، ممثلاً لما تقول بالدليل النقلي.

جـ - كيف تتصرف إذا أشكل لديك فهم حديث من الأحاديث الشريفة؟

د - ما الأساس المعتبر في التفريق بين الأحاديث المقبولة والأحاديث المردودة؟

هـ - وضّح - دور الرواة في قبول الحديث أو رده.

س٢ - من خلال الجدول التالي - أكمل الفراغات بما يناسبها من معان درستها:

م	منزلة السنة من القرآن الكريم	المثال
١	مؤكدة للقرآن الكريم	
٢		أحكام الصلاة وأركانها وشروطها
٣	تخصيص العام في القرآن الكريم	
٤		موضع قطع يد السارق
٥	تأتي بأحكام سكت عنها القرآن	

س٣: تتبع بالترتيب التاريخي الجهود التي بذلها العلماء في حفظ السنة النبوية ونشرها بين الناس.

س٤: اكتب تقريرا حول دور الإمامين البخاري ومسلم في تصنيف الأحاديث الشريفة، مع بيان أسلوب كل منهما في ترتيب صحيحه (كتابه).

س٥ - عرّف المصطلحات التالية:

أ - التدوين.

ب - غريب الحديث.

جـ - مصطلح الحديث.

س٦: ماذا تعرف عن الكتب التالية؟ (ارجع إلى مكتبة المدرسة أو المكتبة العامة).

أ - فتح الباري.

ب - سبل السلام.

جـ - تهذيب التهذيب.

أفضل سبل التعامل مع الكتاب والسُّنَّة

تمهيد

ظهر مما تقدم منزلة الكتاب والسُّنَّة في حياة المسلم، إذ هما طريق الهداية إلى الحياة الطيبة في الدنيا والنجاة والفوز برضوان الله والجنة في الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ۝ ﴾ سورة الشورى الآيتان: (٥٢ - ٥٣) وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يعرف المسلم أفضل سبل التعامل مع هذين المصدرين الأساسين وذلك على النحو التالي:

أولاً - أفضل سبل التعامل مع كتاب الله - عزّ وجلّ -:

وتتلخص أفضل سبل التعامل مع كتاب الله - عزّ وجلّ - في هذه الخطوات:

١ - دوام التلاوة مع حُسن الترتيل:

إذ دوام التلاوة مع حُسن الترتيل يعود على المسلم بفوائد عدة منها:

أ - زيادة الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ... ﴾ سورة الأنفال الآية: (٢)

ب - لين القلب والجلود والجوارح بطاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾ سورة الزمر الآية (٢٣)

جـ - الأجر والثواب، إذ يقول ﷺ كما يروي ابن مسعود: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها»[1]، وقال - صلى الله عليه وسلم -: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[2]

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ٥/ ١٦١ وقال عنه هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (المختصر) ٢/ ٤٩٩ كتاب صلاة المسافرين باب في فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح ٢٥٤ ٢/ ٨٠٤ رقم ٢٤٩

وأدنى ما يتلوه المسلم من القرآن يومياً نصف جزء أو جزء وإن زاد فهو خير، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ القرآن في شهر. قلت: إني أجد قوة، حتى قال: فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك.[1] وينبغي له حتى يتلوه بحسن ترتيل أن يكون عارفاً بما يلي:

أ - علم التجويد: وهو العلم الذي يُعرف به كيفية إخراج الحروف من مخارجها على صفاتها المعلومة من المد والغنة والإظهار والإخفاء والترقيق والتفخيم ونحو ذلك.[2]

ب - القراءات السبع: هي مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مُخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المُخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.[3]

جـ - الأحرف السبعة: أوجه سبعة من الأداء كاختلاف الأسماء بالإفراد والتثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، وكاختلاف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، وكاختلاف وجوه الإعراب وكالاختلاف بالبدل، وكاختلاف اللهجات من الترقيق والتفخيم والإظهار وغير ذلك.

والعلاقة بين القراءات والأحرف السبعة في علاقة الخاص بالعام، إذ الأحرف السبعة عام، ومنها اختلاف القراءات أو اللهجات وهو خاص والحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف إنما هو التيسير على الناس[4] لقوله ﷺ «أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى على سبعة أحرف»[5]

ملتزماً آداب التلاوة من:

أ - الطهارة ونظافة المكان.

ب - الخشوع والسكينة والوقار.

جـ - السواك قبل البدء في التلاوة.

د - الاستعاذة في أول التلاوة.

هـ - المحافظة على البسملة في مطلع كل سورة سوى سورة براءة (التوبة).

و - تحسين الصوت بالقراءة.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل القرآن باب من كره أن لا يقرأ القرآن أقل من ثلاث، رقم الحديث 5052، 6/ 243

(2) انظر علم تجويد القرآن للشيخ محمد خليل الحصري ص 10

(3) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 1/ 405

(4) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 1/ 149 - 150 بتصرف.

(5) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث 4991، 6/ 224

ز - الجهر بالقراءة ما لم يكن هناك مصابقة للآخرين.

ح - التدبّر وأخذ العظة والعبرة [1]

٢ - حفظه كلّه أو ما تيسّر:

إذ الحفظ يساعد على التلاوة باستمرار لا سيّما عند عدم اصطحاب المصحف، فضلاً عن كونه يساعد على التدبّر والاتعاظ، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» [2]، ولعلّ مما يُعين على حفظ القرآن:

أ - الحفظ من مصحف واحد.

ب - تقسيم القدر المراد حفظه إلى مقاطع صغيرة مع تكرار كل مقطع ثلاث مرات على الأقل.

جـ - مراجعة ما تم حفظه ولا ينتقل عنه إلى غيره إلا بعد التأكد من جودة المحفوظ.

د - المُراجعة المُستمرة لا سيّما في الصلاة.

هـ - فهم القدر المُراد حفظه مع معرفة وجه الارتباط بينه وبين سابقه ولاحقه.

و - التحرّز من المعاصي والسيئات

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (٨٢)

٣ - الفقه والتدبّر:

وهذا من الأهمية بمكان، إذ هو الطريق للعمل والتطبيق. قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ... ﴾ سورة ص الآية: (٢٩)

٤ - العمل بما فيه قدر الطاقة والإمكان:

وهذا العمل هو ثمرة طيبة التلاوة والحفظ والتدبّر، غاية ما هنالك أنه ينبغي تطبيق ما يستطيع المسلم تطبيقه من أحكامه على الفور من الصلاة والزكاة والصيام والحج والحفاظ على الدماء والأموال والأعراض ونحوها، وأمّا ما لا يستطيع تطبيقه من أحكامه لأنه من اختصاص غيره، كتنفيذ الحدود، فإنه يوقن بأهمية هذا

---

(١) انظر: طرق تجويد القرآن للشيخ محمد مشاعل الزعابي ص ٧١ - ٧٢ بتصرف.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في من ليس في جوفه شيء من القرآن، حديث رقم (٢٩١٣)، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح.

النوع من الأحكام، ويرشد الآخرين إلى هذه الأهمية، مراعياً في ذلك الحكمة والموعظة الحسنة، ويُرشد إلى أهمية العمل بما في القرآن قدر الطاقة والإمكان، ويدل على ذلك ما رواه أبو عبدالرحمن السُّلمي بسنده إلى عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود قالا: كُنّا إذا حفظنا عشر آيات من القرآن لم نتجاوز حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل. قالا: فتعلّمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.[1]

ثانياً: أفضل سبل التعامل مع السنة النبوية:

وتتلخص أفضل سبل التعامل مع السنة النبوية في هذه الخطوات:

١ - دوام المُطالعة في دواوينها الصحيحة:

وينبغي البدء بكتاب مثل كتاب: «رياض الصالحين» الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) هـ وكتاب: «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، وكتاب «الأربعين النووية» للإمام النووي.

٢ - حفظ طائفة من الأحاديث التي تُمثّل أصول الدين، وكتاب الأربعين النووية للإمام النووي، وكتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب قد جمعا هذه الأحاديث، وهما قريبان من كل مسلم.

٣ - قراءة شرح للأحاديث المُتفق عليها عند البخاري ومسلم مثل: كتاب (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم) للشيخ الشنقيطي، وكتاب (المعلم بشرح صحيح مسلم) للدكتور موسى شاهين لاشين، أو غيرهما.

٤ - العمل بما يقرأ المسلم ويحفظ من أحاديث مع مراعاة أخذ الأمور أخذاً شمولياً وسطاً بين التشدد أو التفريط، وخير الأمور أوسطها.

---

(١) انظر: مقدمة صحيح الإمام مسلم بتحقيق الدكتور/ عبدالله دراز.

س١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - وضح فوائد المداومة على تلاوة القرآن الكريم تلاوة حسنة.

ب - اكتب ما تعرفه عن آداب تلاوة القرآن الكريم.

جـ - كيف يمكنك كمسلم تنفيذ ما جاء في القرآن الكريم من أحكام مختلفة؟

د - اذكر أسماء بعض الكتب التي تناولت شرح الأحاديث الشريفة.

هـ - اكتب ما تعرفه عن كتب السنة النبوية الصحيحة، التي سبق لك دراستها.

س٢ - عرف:

- علم التجويد.
- القراءات السبع.
- علوم القرآن.

س٣ - قال صلى الله عليه وسلم: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب».

أ - اذكر تخريج الحديث الشريف.

ب - اشرح معنى الحديث الشريف.

جـ - اكتب بعضاً مما يعين المسلم على حفظ القرآن الكريم.

س٤ - وضح - باختصار - دورك كمسلم تجاه السنة النبوية.

المفهوم السابع

الحضارة الإسلامية:

أسسها – خصائصها

أسس الحضارة الإسلامية

تمهيد

الحضارة هي: النتاج الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والروحي لمجتمع أو فرد معين، وانبثقت الكلمة من الحضر، وهم سكان المراكز العمرانية.

وانطلاقاً من هذا التعريف فإنه يصعب أن نتصور مجتمعاً من المجتمعات، أو فرداً من الأفراد يعيش بلا حضارة.

غاية ما في الأمر أن هناك تفاوتاً بين الحضارات بسبب التفاوت في الأسس، وفي الثمرات التي تفرزها كل حضارة من هذه الحضارات، ولما كانت الحضارة الإسلامية متميزة في أسسها وخصائصها عن الحضارات الأخرى، كان لابد من لفت النظر إلى ذلك، لا سيما وقد ظهر في الأمة المسلمة من فتن بالحضارة الحديثة، التي تركت الدين وأهملت الجانب الاجتماعي للإنسان واطلقت العنان للمادة والمصلحة وجعلتهما الأساس في العلاقات الإنسانية فكانت النتيجة حروباً مدمرة وأمراضاً عقلية ونفسية عانت منهما البشرية.

* أسس الحضارة الإسلامية:

تقوم الحضارة الإسلامية على طائفة من الأسس غاية في القوة والمتانة، وبها اكتسبت هذه الحضارة قوتها ومتانتها، وأهم هذه الأسس:

١ - الدين:

هو الأساس الأول في الحضارة الإسلامية، فالدين الإسلامي هو الذي حدد اتجاهها وشخصيتها وغايتها وأهدافها. والعقيدة قائمة على الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

والحديث النبوي الشريف حيث إن السنة هي القرآن الكريم فهي وحي من الله تعالى وهي من أسس الحضارة الإسلامية كما أنها واجبة الاتباع. وعلماؤنا اعتنوا بها عناية خاصة فدونوها وحققوا أسانيدها وشرحوا أحكامها التي دارت على القرآن الكريم توكيداً وتفصيلاً وتشريعاً.

٢ - الشورى:

إذ يأبى الإسلام الانفراد بالرأي فيما لا نص فيه، ويوجب الشورى كسبيل إلى إنضاج وتصويب الآراء والأحكام والقرارات. قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ ﴾ سورة آل عمران الآية: (١٥٩)، وقال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الشورى الآية: (٣٨)

وطبق النبي ﷺ مبدأ الشورى في حياته فيما لم يكن فيه إلزام من الله - عز وجل -. فقد استشار ﷺ أصحابه يوم بدر حين أفلتت تجارة قريش، وأخذ النبي ﷺ بمشورة أصحابه - رضي الله عنهم - فكان النصر، ولما استشارهم يوم أحد ونزل على رأي أكثرهم بالخروج من المدينة للقتال مع أنه كان يرى عدم الخروج، ولهذا وغيره وصفه أبو هريرة - رضي الله عنه - بقوله: «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»[1] [2] ولمكانة الشورى من الإسلام على هذا النحو أولاها فقهاء المسلمين عناية خاصة، واهتماماً كبيراً، فوضعوا القواعد التي تحكمها وتحميها من الانحراف بها عن مسارها الصحيح، وطبقوها أولو الأمر لاسيما في القضايا المصيرية، كما عُرف ذلك من تاريخ الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من الحكام والأمراء والولاة والقضاة وغيرهم.

وكانت الثمرة الطبيعية لذلك وجهاً حضارياً جديداً للأمة مبنياً على الشعور بالواجب والمسئولية، وداعياً إلى العمل والإتقان وموثقاً عرى المحبة بين أبنائها على كل المستويات وفي سائر المواقع، وكاشفاً لها عن الأحداث ومجريات الأمور أولاً بأول، وسبيل التعامل معها وتوظيفها نحو الأنفع والأفضل.

٣ - العدل:

إذ أوجب الله - تعالى - في كتابه الأخذ بالعدل في كل شيء، ومع كل الخلق وإن كانوا أعداء، قال - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ سورة النساء الآية: (١٣٥)

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة المائدة الآية: (٨)

وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ سورة الحديد الآية: (٢٥)

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦١٤، ٦١٥، ٦٢٥ عن ابن إسحاق بسند صحيح.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في أبواب الجهاد، باب ما جاء في المشورة ٤/ ١٨٩ معلقاً.

وعلى هذا الأساس ثبتت الحضارة الإسلامية دوستور الجميع وطبقت في كلّ أمر، فنال العبد والموالي حقوقهم كاملة غير منقوصة، ونعم غير المسلمين في ظلّ الإسلام وفي جوار المسلمين بالأمن والأمان في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ودينهم، وحسبنا أن تنزل آيات من القرآن تتلى إلى آخر الزمان تدافع عن يهودي اتهم ظلماً وهو بريء دفاعاً لا نظير له في التاريخ. فقد سرق (طعمة بن أبيرق) - وهو مسلم درعاً من جاره ثم خبأها عند يهودي، وحامت الشبهات حول (طعمة) فالتمست الدرع عنده فلم توجد وحلف بالله ما أخذها وما له بها علم، وأخيراً ظهرت الدرع عند اليهودي، ولما سُئل قال: دفعها إليّ طعمة واستحفظني أياها، وشهد له بذلك ناس من اليهود فاهتم قوم طعمة للأمر وأعدوا يتناجون فيما بينهم للاتفاق على وسيلة تبرئ صاحبهم وتلصق التهمة باليهودي دفعاً للعار الذي لحق بهم، وسولت لهم أنفسهم إثارة النبيّ ﷺ على اليهودي لاختلاف الدين، وأقسموا على براءة صاحبهم، وأن اليهودي هو السارق، وكاد النبيُّ ﷺ يقضي بما تراءى له، ولكن الله لم يرض ذلك ونزل في ذلك قوله تعالى[1]:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ
خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ
يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا
يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا
﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ
اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ
تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ سورة النساء، الآيات من (١٠٥ - ١١٣)

---

[1] انظر القصة في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٥٦٢ - ٥٦٤) بتصرف يسير.

٤ - المساواة:

إذ يذكر الله - عز وجل - في كتابه أن الناس جميعاً في الخلق سواء، ويردون إلى أصل واحد، آدم وحواء، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ... ﴾ سورة النساء الآية: (١)، وأنه لا فضل ليوم عند سبحانه إلا بالإيمان والعمل الصالح فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾ سورة الحجرات الآية: (١٣)

وعلى هذا الأساس أقام المسلمون علاقاتهم مع أنفسهم ومع غيرهم من الناس، فكانت هذه الصورة الحضارية التي مازالت محل إعجاب وتقدير من الأعداء قبل الأصدقاء، حينما مقولة أبي بكر - رضي الله عنه - في اليوم الأول لتوليه الخلافة: «إن أقواكم عندي ضعيف حتى آخذ منه الحق، وإن أضعفكم عندي قوي حتى آخذ له الحق».[1]

٥ - التكافل الاجتماعي:

إذ يوجب الحقّ - تبارك وتعالى - التعاون والتكافل بين بني آدم جميعاً، وبين المسلمين على وجه الخصوص مادياً ومعنوياً فيقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ... ﴾ سورة المائدة الآية (٢)، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ سورة التوبة الآية: (٧١)

ويقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».[2]

وعلى هذا الأساس كان الوجه الحضاري للأمة المسلمة، والذي يصوره ثناء النبي ﷺ على الأشعريين إذ يقول: «إن الأشعريين إذا أرملوا أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم».[3]

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٣٠١.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الصحيح كتاب البر والصلة والأدب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/ ١٩٩٩، ١٠٠٠، رقم ٦٦/ ٢٥٨٦ من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الشركة باب الشركة في الطعام ٣/ ١٨١ ومسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل الأشعريين ٤/ ١٩٤٤، ١٩٤٥، رقم ١٥٠٠/ ١٧٧.

ويثني ربُّ العزة سبحانه على الأنصار بحسن استقبالهم المهاجرين وإيثارهم على أنفسهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾ سورة الحشر الآية: (٩)

ومن مظاهر التكافل في المجتمع المسلم الوقف الخيري. فقد كان نظام الوقف الخيري من نُظم التكافل الحضاري، حيث كفل حياة طيبة مادية ومعنوية لليتامى والفقراء والمعوقين والمرضى والسجناء والأسرى والخدم والعبيد. بل إنّ المصابين بالأمراض النفسية والعقلية كان لهم نصيب من هذه الكفالة في أقسام تخصهم ضمن المستشفيات الكبرى، وربما أنشئت لهم مصحات خاصة بهم. وقد خصص لكل واحد منهم مُرافق يأخذه بالليل والرفق بصحبه في الحدائق بين الخضرة والزهور، ويسمعه ترتيلاً هادئاً من آيات الذكر الحكيم تطمئن به القلوب وتهدأ به النفوس.[1]

وكذلك الشأن مع الغرباء وأبناء السبيل وكبار السن، كل هؤلاء نالوا نصيباً كبيراً من الكفالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي من الوقف ومن غيره من وسائل التكافل والتراحم.

الزكاة:

تعريف الزكاة: هي الحصة المُقررة من المال التي فرضها الله للمستحقين، وهي ركن يظهر فيه التكافل الاجتماعي في أعظم صوره. ولقد تكفّل الله - عز وجل - بتحديد المُستحقين للزكاة فجعلوا ثمانية مصارف، أربعة منها اجتماعية، وأربعة دعوية. فالاجتماعية هم أصناف الفقراء والمساكين والعاملين عليها والغارمين - المدينين -. وأما الأصناف الأربعة الدعوية فهي: في سبيل الله وابن السبيل وفي الرقاب - الأرقاء - والمؤلفة قلوبهم - وهم الذين دخلوا الإسلام حديثاً، أو الذين يُدفع لهم المال دفعاً لشرهم، ولا تقتصر الزكاة على الأموال النقدية بل تشمل كل ما يُستفاد منه ويُدرّ ربحاً لمالكه، فتشمل الزكاة: الذهب والفضة والأنعام والثروة التجارية والثروة الزراعية - كما تشمل الزكاة الأسهم والسندات وغير ذلك.

شروط وجوب الزكاة:

لم يُوجب الإسلام الزكاة على كلّ فرد مسلم ولا على كل مال، وإنما أوجبها متى وُجدت شروط محددة:

---

[1] انظر تفصيل ذلك في دراستنا في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية للدكتور سعد مصطفى حلاوة وزميله ص١١٦ - ٢٠٠ منشورات ذات السلاسل - الكويت.

أولها: أن يكون المال مملوكاً للمسلم ملكاً تاماً بمعنى أنه يستطيع أن يتصرف فيه بكل أنواع التصرف من البيع أو الهبة أو غير ذلك.

ثانيها: أن يبلغ هذا المال نصاباً وهو مبلغ من المال إذا بلغه وجبت فيه الزكاة وهو وزن ٨٥ غراماً ذهباً، وهو ما يعادل في سعر السوق مبلغاً من النقود يبدأ من ٣٤٠ ديناراً فما فوق وتجب عنها ٢,٥٪ وتكون أيضاً في سائر ما تجب فيه الزكاة بمقادير محددة.

ثالثها: حَوَلانُ الحول وهو مرور اثني عشر شهراً عربياً بالنسبة للأنعام والنقود والسلع التجارية، أما الزروع والثمار فلا يُشترط لها مرور حول بل كلّما أثمرت وجبت فيها الزكاة.

ومن هنا يظهر أن الزكاة ركن عظيم يعود على أفراد المجتمع الفقراء والمساكين خاصة بما يحتاجونه إلى أن يجدوا عملاً.

ولقد كانت الزكاة أداة اقتصادية لها تأثير كبير في تاريخ الدولة الإسلامية، ووصل الأمر في عهد عمر بن عبدالعزيز أن يُرسل موظفيه يبحثون عن الفقراء فلا يجدون أحداً فقد أغناهم الإسلام بالزكاة ويبحثون عن المدينين وهم الغارمون فيسددون ديونهم من الزكاة حتى لا يبقى أحد يأخذ الزكاة.

وهذا يظهر الفرق الكبير بين هذه الفريضة الإلهية وبين ما تفرضه الحضارة الغربية من ضرائب ومكوس[1] أرهقت بها العاملين وأصبحوا يتحايلون للتخلص منها.

---

[1] المكوس: أي الضرائب التي تفرضها الدولة على مواطنيها.

التقويم

س١ - عرف المصطلحات التالية:

أ - الحضارة.

ب - التكافل الاجتماعي.

جـ - الزكاة.

س٢ - علل ما يلي تعليلاً واضحاً:

أ - من الصعب أن يعيش مجتمع أو فرد من الأفراد بلا حضارة.

ب - الشورى وجه حضاري للأمة الإسلامية.

جـ - علاقة المسلم بربه علاقة خوف ورجاء.

س٣ - تحدث عن نظام الوقف الخيري في الإسلام، مبرزاً دوره في الحياة الإنسانية. ثم تطرق للوقف الخيري في دولة الكويت، ومساهماته في رفع المستوى المعيشي، وعلاج الأمراض.

س٤ - ارجع إلى المعجم المفسر لألفاظ القرآن الكريم ثم استخرج الآية القرآنية الكريمة التي جمعت الأصناف البشرية المستحقة للزكاة مع ذكر رقم الآية واسم السورة.

س٥ - أكمل الجملة التالية:

- من شروط الزكاة الواجبة: _____

س٦ - (إن أضعفكم عندي قوي حتى آخذ له بحق).

أ - من قائل هذه العبارة؟ وعلى ماذا تدل من أسس الحضارة الإسلامية.

ب - ما قصة طعمة بن أبيرق وكيف كذب القرآن الكريم مزاعمه؟

خصائص الحضارة الإسلامية

لقد كان لحضارتنا الإسلامية دور خطير في تاريخ التقدم الإنساني، ومدى ما قدّمته في ميدان العقيدة والعلم والخلق والحكم والفن والأدب من أياد خالدة على الإنسانية في مُختلف شعوبها وأقطارها. وإن أبرز ما يُلفت نظر الدارس لحضارتنا أنها تميزت بالخصائص التالية:

١ - **أنها قامت على أساس الوحدانية المُطلقة في العقيدة:** فهي أوّل حضارة تُنادي بالإله الواحد الذي لا شريك له في حكمه وملكه، وهو وحده الذي يُعبد، وهو وحده الذي يُقصد ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ سورة الفاتحة الآية: (٥)، وهو الذي يُعزّ ويُذل ويُعطي ويمنع، وما من شيء في السموات والأرض إلا وهو تحت قدرته وفي متناول قبضته.

هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأوياء ورجال الدين، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده وهو خالق الخلق ورب العالمين.. كما كان لهذه العقيدة أثر كبير في الحضارة الإسلامية تكاد تتميّز به عن كل الحضارات السابقة واللاحقة، وهو خلوّها من كل مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحكم والفن والشعر والأدب. إن الإسلام الذي أعلن الحرب على الوثنية ومظاهرها لم يسمح لحضارته أن تقوم فيها مظاهر الوثنية وبقاياها المستمرة من أقدم عصور التاريخ، كتماثيل العظماء والصالحين والأنبياء والفاتحين، وقد كانت التماثيل من أبرز مظاهر الحضارات القديمة والحضارة الحديثة لأن واحدة منها لم تذهب في عقيدة الوحدانية إلى المدى الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية، وهذه الوحدة في العقيدة تطبع كل الأسس والنظم التي حفلت بها حضارتنا، هناك الوحدة في الرسالة، والوحدة في التشريع، والوحدة في الأهداف العامة.

٢ - **أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة:**

فالقرآن الذي أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوّع أعراقه ومنابته ومواطنه، في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ سورة الحجرات الآية: (١٣)، إن القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة، جعل

حضارته عقداً تنظم فيه جميع الحيثيات للشعوب والأمم التي خفقت فوقها رايات الفتوحات الإسلامية، ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تُفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة، إلا الحضارة الإسلامية فإنها تُفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل والخليل وسيبويه والخندي والغزالي والفارابي وابن رشد وأمثالهم ممّن اختلفت أصولهم وتباينت أوطانهم، ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم.

٣ - أنها جعلت المبادئ الأخلاقية المحل الأول:

في كل نظمها ومختلف مبادين نشاطها، وهي لم تتخلّ عن هذه المبادئ قط، ولم تجعلها وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة أو أفراد. ففي ميادين الحكم، والعلم، والتدريس، والحرب، والسلم، والاقتصاد، والأسرة... روعيت المبادئ الأخلاقية تشريعاً وتطبيقاً، وبلغت في ذلك نأواً سامياً بعيداً لم تبلغه حضارة في القديم والحديث، ولقد تركت الحضارة الإسلامية في ذلك آثاراً تستحق الإعجاب ونحصلها وحدها من بين الحضارات التي كفلت سعادة الإنسانية سعادة خالصة لا يشوبها شقاء.

٤ - أنها تؤمن بالعلم في أصدق أصوله:

فحضارة الإسلام تؤمن بالعلم، وفي الوقت ذاته ترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها، فهي قد خاطبت العقل والقلب معاً، وأثارت العاطفة والفكر في وقت واحد، وهي ميزة لم تشاركها فيها حضارة في التاريخ، وسر العجب في هذه الخاصة من خصائص حضارتنا أنها استطاعت أن تُنشئ نظاماً للدولة قائماً على مبادئ الحق والعدالة، مُرتكزاً إلى الدين والعقيدة دون أن يقيم الدين عائقاً ما دون رقي الدولة واطراد الحضارة، بل كان الدين من أكبر عوامل الرقي فيها، فمن بين جدران المساجد في بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة انطلقت «أشعة العلم إلى أنحاء الدنيا قاطبة. إن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي لم يُفصل فيها الدين عن الدولة مع نجاتها من كلّ مآسي المزج بينهما كما عرفته أوروبا في القرون الوسطى. لقد كان رئيس الدولة خليفة وأميراً للمؤمنين، لكن الحكم عنده للحق، والتشريع للمختصين فيه، ولكلّ فئة من العلماء اختصاصهم، والجميع يتساوون أمام القانون، والتفاضل بالتقوى والخدمة العامة للناس، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[1]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس»[2].

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، (٦٧٨٨)، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، (٣/ ١٣١٥ - ١٣١٦).

(٢) الحديث أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت الرقم الأول برقم (٤٩٢).

هذا هو الدين الذي قامت عليه حضارتنا، ليس فيه امتياز لرئيس أو لرجل دين ولا تشريف، ولا تحق قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ... ﴾ سورة الكهف الآية: (١١٠)

٥ - التسامح الديني العجيب:

إن التسامح الموجود في دين الإسلام لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدين، إن الذي لا يؤمن بدين ولا بإله لا يبدي عجباً إذا نظر إلى الأديان كلها على حد سواء وإذا عامل أتباعها بالقسطاس المستقيم، ولكن صاحب الدين الذي يؤمن بأنّ دينه حق وأنّ عقيدته أقوم العقائد وأصحها، ثم يُتاح له أن يحمل السيف، ويفتح المدن، ويستولي، ويجلس على منصة القضاء، ثم لا يحمله إيمانه بدينه، واعتزازه بعقيدته على أن يجور في الحكم، أو ينحرف عن سُنن العدالة، أو يحمل الناس على اتباع دينه إن رجلاً مثل هذا لعجيب أن يكون في التاريخ، فكيف إذا وجد في التاريخ حضارة قامت على الدين وشادت قواعدها على مبادئه ثم هي من أشدّ ما عرف التاريخ تسامحاً وعدالة ورحمة وإنسانية؟ هذا ما صنعته حضارتنا، وحسبنا أن نعرف أن حضارتنا تتفرد في التاريخ بأن التي أقامها دين واحد ولكنّها كانت للأديان جميعاً

هذه هي بعض خصائص حضارتنا وميزاتها في تاريخ الحضارات، ولقد كانت بحق محل إعجاب العالم، ومهوى أفئدة الأحرار والأذكياء من كل جنس ودين يوم كانت قوية تحكم وتوجه وتهذب وتعلم.

التقويم

س١ - أجب عن الأسئلة التالية:

أ - ما المقصود بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ سورة الفاتحة الآية: (٥)

وما أثرها في حياة المسلم؟

ب - ارجع إلى كتاب (عظماء في الإسلام) واختر ثلاث شخصيات إسلامية عربية وبيّن دورها في الحضارة الإسلامية.

جـ - وضّح بالدليل، أثر المبادئ الأخلاقية في بناء الحضارة الإسلامية.

يمكنك الاستعانة بكتاب (الإسلام عقيدة وشريعة) للشيخ محمود شلتوت.

س٢ - أكمل الجمل التالية:

أ - تميزت الحضارة الإسلامية بالمميزات التالية:

.....

.....

.....

ب - من أبرز ما عرف عن الإسلام ..... الديني العجيب.

جـ - إن الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي لم يفصل فيها ..... عن .....

س٣ - بم تعلل:

أ - خلو الحضارة الإسلامية من مظاهر الدنيا وآدابها وفلسفتها في كل الفنون والعلوم.

ب - حرية الأديان مكفولة في الدولة الإسلامية.

من آثار حضارتنا الإسلامية

تمهيد:

لقد كانت الحضارة الإسلامية سامية في أسسها وخصائصها، ولم تكن هذه الخصائص نظرية فلسفية لا صلة لها بالواقع بل، كانت آثار هذه الحضارة ونتاجها ملموسة شاهدة على حضارة فريدة سيظل التاريخ الإنساني يتغنى بها ويحلم بصورة المدينة الفاضلة التي حقق الإسلام وجودها، وسنختار فيما يلي بعضاً من هذه الآثار والشواهد.

١ - الآثار في ميدان العلوم:

لقد كانت مساجد المسلمين وجامعاتهم في حركة ونشاط دائبين في مجال التأليف والترجمة والممارسة التجريبية سواء في علم الطب أو الرياضيات أو الكيمياء أو غيرها، ولقد نهضت أوروبا على تراجم من الكتب العربية، وعلى نقل تراث الجامعات الإسلامية خاصة إشبيلية وقرطبة وغرناطة، ونشطت حركة الترجمة في أوروبا لما رأوه من علوم متقدمة في البلاد الإسلامية، فترجموا كتاب (القانون في الطب) لابن سينا في القرن الثاني عشر، وكتاب (الحاوي) للرازي في الطب في نهاية القرن الثالث عشر، وظل هذان الكتابان مرجع الدراسات في أوروبا قرابة ستة قرون، يقول المؤرخ العالمي غوستاف لوبون: «ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية، المصدر الوحيد تقريباً للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون»، ويقول المستشرق سيديو: «كان العرب وحدهم حاملي لواء الحضارة الوسطى فدحروا بربرية أوروبا التي زلزلتها غارات قبائل الشمال»، ويقول أيضاً: «والعرب حين زاولوا علم التأليف، عنوا عناية خاصة بالعلوم الرياضية كلها، فكان لهم فيها القدح المعلى، فكانوا أساتذة لنا في هذا المضمار بالحقيقة».

٢ - الآثار في ميدان الجهاد:

لم يعرف التاريخ الإنساني ولا الحضارات السابقة ولا الحضارة المعاصرة سمواً ورفعة في التعامل مع المغلوب مثل أسلوب التعامل الإنساني الذي سلكه الإسلام وطبقه المسلمون، ولا غرو فإن غاية الحرب في الإسلام هي إنقاذ الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وإخراجهم من نير الظلم والعدوان إلى سعة الإسلام، وستركم تقرؤون لمحات ومواقف هي غيض من فيض لتدركوا عظمة دينكم وسمو شريعتكم سنذكر منها مواقف:

الأول: لما وَلِي الخلافة عمر بن عبدالعزيز، وفد إليه وفد من أهل سمرقند، فرفعوا إليه أن قُتيبة قائد الجيش الإسلامي فيها دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غدراً بغير حق، فكتب عمر إلى عامله هناك أن يعجل لهم قاضياً ينظر فيما ذكروه، فإن قضى بإخراج الجند من سمرقند أخرجوا، وعجل لهم الوالي قاضياً ينظر في شكواهم، فحكم القاضي بإخراج المسلمين من سمرقند، ثم يوجه قائد الجيش الإسلامي إنذاراً لهم بعد ذلك وقفاً لنبادئ الحرب الإسلامية حتى يكون أهل سمرقند على استعداد لقتال المسلمين فلا يؤخذوا بغتة، وخرج الجيش الإسلامي فعلاً وكأنه جيش مهزوم، فلما رأى ذلك أهل سمرقند رأوا ما لا مثيل له في التاريخ من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها! قالوا: هذه أمة لا تُحارب، وإنما حكمها رحمة ونعمة، فرضوا ببقاء الجيش الإسلامي، وأقروا أن يقيم المسلمون بين أظهرهم، أرأيتم جيشاً يفتح مدينة ويدخلها فيشكي المعلبون للدولة المنتصرة فيحكم قضاؤها على الجيش الظافر وأمر بإخراجه، ولا يدخلها بعد ذلك إلا أن يرضى أهلها! أرأيتم في التاريخ القديم والحديث جيشاً يتقيد أصحابها بمبادئ الأخلاق والحق كما تقيد به جيش حضارتنا؟

الثاني: لما فتحت جيوشنا الظافرة دمشق وحمص وبقية المدن السورية، وأخذوا من أهلها مبالغ من المال صلحاً لقاء حمايتهم والدفاع عنهم، رأى قادة الجيش الإسلامي بعد أن جمع هرقل لهم الجموع لينازلهم في معركة فاصلة أن يحلوا المدن المفتوحة ويتجمعوا في مكان واحد ينازلون بها الروم مجتمعين، لأنهم لن يقدروا على صد جيوش هرقل إلا بهذه الطريقة، وخرج جيشنا من حمص ودمشق والمدن الأخرى، وجمع خالد بن الوليد - رضي الله - عنه أهل حمص، وأبو عبيدة أهل دمشق، وغيرهما من القادة أهل المدن الأخرى وقالوا لهم: «إنا كُنَّا قد أخذنا منكم أموالاً على أن نحميكم وندافع عنكم، ونحن الآن خارجون عنكم لا نملك حمايتكم، فهذه أموالكم نردها إليكم!» فقال أهل المدن: ردكم الله ونصركم، والله لحكمكم وعدلكم أحبُّ إلينا من جور الروم وظلمهم، والله لو كانوا مكانكم لما دفعوا إلينا شيئاً، بل كانوا يأخذون معهم كل شيء يستطيعون حمله! نعم كما تفعل الجيوش في العصر الحاضر حين تضطر للإجلاء عن مدينة لا تترك فيها أثراً ينتفع منه العدو، فهل سمعتم بمثل هذا؟ نعم هذا تاريخ أمتكم وحضارة إسلامكم.

الثالث: في حروب التتار في بلاد الشام، وقع بأيدي التتار كثير من أسرى المسلمين والنصارى واليهود، ثم تدخل شيخ الإسلام ابن تيمية مع أمير التتار في أمر الأسرى وفك أسرهم، فأجابه الأمير إلى فك أسرى المسلمين فقط دون النصارى واليهود، فأبى شيخ الإسلام ذلك وقال له: «لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة».

هذه كانت أخلاق المسلمين في أشد الظروف وأحلكها، ولكي نبرك هذه العظمة ونستشعرها نقف عند أسلوب وطريقة معاملة الصليبيين لمجرد المقارنة.

حين وصل الصليبيون في الحملة الثانية إلى معرة النعمان، حاصروها حتى اضطر أهلها المسلمون للاستسلام بعد أن أخذوا من زعماء الحملة عهداً مؤكداً بالمحافظة على النفوس والأموال والأعراض. وما كادوا يدخلونها حتى ارتكبوا من الفظائع ما تشيب له الولدان، وقتلوا بعض المؤرخين الإفرنج الذين كانوا في هذه الحملة عدد الذين قتلوهم بين رجال ونساء وأطفال بمائة ألف، ثم تابعوا سيرهم إلى بيت المقدس، وشددوا الحصار على أهلها. ورأى أهلها أنهم مغلوبون لا محالة فطلبوا من قائد الحملة (طنكرد) الأمان على أنفسهم وأموالهم. فأعطاهم رايته يرفعونها على المسجد الأقصى ويلجؤون إليه آمنين على كل شيء ودخلوا المدينة بعد ذلك، فيا لهول المجزرة، ويالقسوة الإجرام! لجأ سكان القدس إلى الأقصى الذي رفعوا فوقه راية الأمان حتى إذا امتلأ بمن فيه من شيوخ وأطفال ونساء ذُبحوا ذبح النعاج، فسالت الدماء في المسجد حتى ارتفعت إلى ركبة الفارس، وظهرت الجثث بذبح كل من فيها تماماً، حتى كانت شوارعها تعج بالجماجم المحطمة والأذرع والأرجل المقطعة والأجسام المشوهة، ويذكر مؤرخوهم أن عدد الذين ذبحوا في داخل المسجد الأقصى فقط سبعون ألفاً منهم جماعة كبيرة من الأئمة والعُباد والزُهاد فضلاً عن النساء والأطفال، ولا ينكر مؤرخو الإفرنج هذه الفظائع، وكثير منهم يتحدث عنها فخورين! ولكن، هل قابل المسلمون هذه الفظائع بمثلها؟ أبداً!

بعد ٩٠ سنة من هذه المجزرة فتح صلاح الدين بيت المقدس فماذا فعل؟ لقد كان فيها ما يزيد على مائة ألف غربي بذل لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وسمح لهم بالخروج لقاء مبلغ قليل يدفعه المقتدرون منهم، وأعطاهم مهلة للخروج أربعين يوماً، فعجل منهم أربعة وثمانين ألفاً لحقوا بإخوانهم في عكا وغيرها، ثم أطلق كثيراً من الفقراء من غير فدية، وأدى الملك العادل أخو صلاح الدين الفدية عن ألفي رجل منهم. وعامل النساء معاملة لا تصدر عن أرقى ملك متنور في العصر الحديث. ومما يزيد في روعة هذا العمل الإنساني الذي عمله صلاح الدين في فتح بيت المقدس، أنه أرسل مع جماهير الغربيين الذين نزحوا من القدس ليلتحقوا إلى إخوانهم، من يحميهم ويوصلهم إلى أماكن الصليبيين في صور وصيدا بأمان، مع أنه لا يزال في حرب معهم! فهل تستطيعون أن تضبطوا أعصابكم حين تسمعون مثل هذا؟ واسمعوا بقية القصة. اجتمع كثير من النساء اللاتي دفعن الجزية وذهبن إلى السلطان يولولن إليه قائلات إنهنّ إما زوجات أو أمهات أو بنات لبعض من أسر أو قُتل من الفرسان والجنود، ولا عائل لهن ولا مأوى، ورأهن يبكين فبكى معهن تأثراً وشفقة، وأمر بالبحث عن الأسرى من رجالهن، وأطلق الذين وجدهم وردّهم إلى نسائهم، أما

اللاتي مات أولياؤهن فقد منحهن مالاً كثيراً، جعلهن يهرعن عليه بالثناء أينما سرن، ثم سمح لهؤلاء الذين أعتقهم أن يتزوجوا مع نسائهم وأولادهم إلى سائر إخوانهم اللاجئين في صور وعكا.

إن قصة صلاح الدين مع الغربيين في الحروب الصليبية تشبه الأساطير، ولولا أن الغربيين أنفسهم لا يكاد ينتهي عجبهم من نبل هذا البطل الخالد وسمو أخلاقه، لكان هناك مجال لاتهام مؤرخينا بالمبالغة والغربيون أنفسهم هم الذين يذكرون عن صلاح الدين أنه بنفسه مرض ريتشارد قلب الأسد - أكبر قُوّاد الحملات الصليبية وأشجعهم - فأرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص يحمل إليه العلاج والفواكه التي لا يمكن أن يحصل عليها ذلك القائد الصليبي. هذا والحرب بينهما مستعرة وجيشاهما في صراع.

٣ - الآثار في ميدان الرفق بالحيوان:

إذا رأيت الحضارة تهتم بالحيوان فاعلم - أو هكذا ينبغي أن يكون - أن اهتمامها بالإنسان قد فاق الحد. ليس من العجيب أن تهتم الحضارة الإسلامية بالإنسان مُسلماً أو غير مسلم، وليس عجيباً أن تعطي كل ذي حقّ حقه. ولكن العجيب اهتمام الإسلام بالحيوان اهتماماً بالغاً يترتب عليه الثواب أو العقاب. وهذا ما تعلنه مبادئ حضارتنا في مجال الرفق بالحيوان فتقرر أن عالم الحيوان كعالم الإنسان له خصائصه وطبائعه وشعوره: قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية: (٣٨)]. وله حق الرفق والرحمة كحق الإنسان، وقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - «والراحمون يرحمهم الرحمن»[١]. قال - صلى الله عليه وسلم - «من أعطى حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير»[٢].

بل إن الرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر»[٣]. كما أن القسوة على الحيوان تدخل النار: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[٤] وتمضي

---

[١] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في الرحمة ٤/ ٢٨٥ - ٢٨٦.

[٢] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق ٤/ ٣٢٤، رقم ٢٠١٣.

[٣] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/ ٤٠٠.

[٤] أخرجه البخاري برقم ٣٣١٨.

الشريعة في تشريع الرحمة بالحيوان، فتحرم المكث طويلاً على ظهره وهو واقف. فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي»[1]. وتحرم إجاعته وتعريضه للضعف والهزال، فقد مرّ ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة»[2]. كما تحرم التلهي به في الصيد: «من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة»[3]. وتتخذه هدفاً لتعليم الإصابة فقد: «لعن رسول الله ﷺ من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً»[4] (أي هدفاً) ونهى عن التحرش بين الحيوانات، ووسمها في وجوهها بالكي بالنار (أي كيّها لتعلم من بين الحيوانات الأخرى). فقد «مر الرسول ﷺ على حمار قد وُسم في وجهه، فقال: لعن الله الذي وسمه»[5]. واسمعوا ما أروع هذه الرحمة بالحيوان وأبلغ دلالتها على روح حضارتنا: قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة (طير يشبه العصفور) معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تفرش (أي ترفرف بجناحيها) فجاء رسول الله ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»[6].

وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر فقهاء المسلمين من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال، فهم يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه. فإن امتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه، أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه، أو ذبحه إذا كان مما يؤكل، وقد ذهبوا إلى ما هو أبعد من هذا، فقال بعضهم: إذا تجانت قرة عمياء إلى بيت فتحص وجبت نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف، ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق. ولقد انغرس هذا الإحساس المرهف بالحيوان في قلوب المسلمين، لأن ذلك أصبح من الدين ومن الأخلاق الإسلامية، وتجد هذا الرقي في أوقاف المسلمين وفي تعاملهم مع الحيوان، فقد أنشأوا أوقافاً خاصة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقافاً لرعاية الحيوانات المُسنّة العاجزة، ووقفاً للخيول العاجزة التي يأبى أصحابها أن يفقوا عليها لعدم الانتفاع بها، فترعى في هذه الأرض الموقوفة لها حتى تموت. ومن أوقاف دمشق وقف لتغوط الأكل منه وترعى وتنام، حتى لقد كان يجتمع في دارها المُخصصة لها مئات القطط الفارهة السمينة التي يُقدّم لها الطعام كل يوم وهي

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٣٣، ٣٣٩ من حديث طويل إلى سعد بن معاذ عن أبي سعيد الخدري، وفيه: «ما سمنكم إياها إلا لأنفسكم فتراءى».

(٢) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم ٣/ ١٩٥ رقم ٢٥٤٨.

(٣) أخرجه النسائي في السنن (الصغرى) كتاب الضحايا باب من قتل عصفوراً بغير حقها ٧/ ٢٣٩.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الصيد والذبائح باب النهي عن صبر البهائم.

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب اللباس والزينة باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ٣/ ١٦٧٣.

(٦) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الجهاد باب في كراهية حرق العدو بالنار ٣/ ١٢٥، ١٢٦.

سفيهة لا تتحرك إلا للرياضة والنزهة.[1]

هذه هي حضارتنا، هذه هي أخلاق المسلمين في سلمهم وحربهم، وساد شؤون حياتهم، إنها أخلاق الإسلام الخالد، وإذا كانت أخلاق المسلمين قد تغيرت، فإن الإسلام معين لا ينضب، ومن تخلق بالإسلام فإنه يسمو ويُرضي ربه، ويكون قدوة للآخرين، فعلينا جميعاً أن نسمو بأخلاقنا إلى ما يأمرنا به ديننا لنرضي ربنا.

---

(١) انظر: من روائع حضارتنا للدكتور محمد علي الصلابي ٣٠ وما بعدها

(٢) المرجع السابق ١٠٩ وما بعدها بتصرف.

التقويم

س١ : تحدّث عن آثار الحضارة الإسلامية في المجال العلمي مبرزاً دور العلماء المسلمين فيها.

س٢ : ما الغاية من الحرب في الإسلام؟ استدل على ما تقول بما تحفظ من القرآن الكريم.

س٣: هذه أمة لا تحارب، وإنما حكمها رحمة ونعمة.

ما مناسبة هذه العبارة؟ وعلامَ تدل من أخلاق المسلمين؟

س٤ – بم تعلل:

أ – رفض أهالي الشام الحكم الروماني.

ب – الرفق بالحيوان من سمات الحضارة الإسلامية.

جـ – نشطت حركة الترجمة في أوروبا في القرن الثاني عشر.

س٥ : «لابد من افتكاك جميع مَنْ معك من اليهود والنصارى» مَنْ قائل هذه العبارة؟ وما مناسبتها؟

س٦ : «قصة صلاح الدين مع الغربيين في الحروب الصليبية أشبه بالأساطير».

اشرح هذه العبارة .. مبيناً لنا هذا البطل وسمو أخلاقه مع أعدائه في أحلك الظروف.

س٧: تتبع جانبا من تعاليم الإسلام الحنيف في قصة الرحمة بالحيوان، مبدياً رأيك بهذه القصة.

س٨: على ضوء فهمك لموضوع من آثار حضارتنا الإسلامية وضح رأيك في المواقف التالية:

أ – عزوف أبناء الأمة الإسلامية عن العلم والتعلم.

ب – الخلاف الأزلي بين المسلمين واليهود حول القدس.

جـ – العناية بالحيوان عن طريق الطب البيطري.

المفهوم الثامن

العالم الإسلامي بين الأمس واليوم

العالم الإسلامي بالأمس

التمهيد

من يمعن النظر في واقع العالم الإسلامي بالأمس حين كان يطبق شرع الله، وحين كانت السيادة له، يجد أنه كان أكثر قوة، وأكبر عطاءً في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية والأدبية ونحوها.

وعلينا أن نقف على بعض مظاهر القوة والعطاء التي حظي بها العالم الإسلامي بالأمس، والأسباب الكامنة وراء ذلك عسّها تكون حافزاً لشحذ الهمم والعزائم حتى نعمل بجد وإتقان وصبر ونعمل من أجل توفير ما يحتاجه العالم الإسلامي اليوم للنهوض والتقدم والإسهام بزمام الريادة وتوجيه الحياة نحو الأحسن والأفضل.

أولاً - بعض مظاهر قوة العالم الإسلامي بالأمس وكثرة عطائه:

هُناك مظاهر كثيرة تشهد بقوة العالم الإسلامي بالأمس وكثرة عطائه، نذكر منها:

١ - قوة الاقتصاد في الدولة الإسلامية:

أوجب الإسلام على المسلمين دعوة الناس إلى الخير والعمل على إخراجهم من الظلمات إلى النور.

فيقول الله - تبارك وتعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١٠٤)

ويقول النبي ﷺ: «ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»[١]

فانطلقوا يؤدون هذا الواجب فيما يُعرف باسم الفتوحات الإسلامية، لا يلوون على شيء إلا على مرضاة الله - عزّ وجلّ - ونجحوا في ذلك أعظم النجاح بحيث لم ينته القرن الهجري الأول إلا وقد بلغ الإسلام الأندلس وما وراءها غرباً، والهند والصين وما وراءهما شرقاً، ولم يكن ليتم لهم ذلك وهم أصحاب الموارد ضعفاء، بل لابد أن يكونوا متمتعين بكثرة القوة وضخامة العطاء، وكانت سعة الأراضي الإسلامية موردا اقتصادياً ضخماً لتنوع الإنتاج الذي كان يوزع بشكل فيه مركزي بعدالة تامة، وكان هارون الرشيد خليفة

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح كتاب العلم باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - رب مبلغ أوعى من سامع (١/ ٣٦، ٣٧، ٣٨) ومسلم في الصحيح كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها (٢/ ٩٨٧، ٩٨٨) رقم (١٣١٦).

المسلمين في القرن الثاني الهجري يخاطب السحاب فيقول: «شرقي أو غربي فسيأتيني خراجك» وبلغ فائض بيت مال المسلمين ٧٢,٠٠٠,٠٠٠ ديناراً.[1]

٢ - التقدم العلمي:

ورث الإسلام حضارتي الفرس والروم فلم يعادهما، ولم يهدم شيئاً مفيداً فيهما، وعدهما إرثاً حضارياً واجب الإسلام أن ينمي الخير فيه ويصحح ما اعوج من مساره، ويضيف إلى بنائه لبنات لعمره وتقويمه، فيكون قوة الحضارة الإسلامية الرائدة، وسعادة البشرية جمعاء، ومن هذه الجهود التصحيحية والتنموية:

أ - نقد معارف الأمم الأخرى:

فقد شاع بين فلاسفة اليونان صناعة التنجيم، والزعم أن بعض الكواكب يجلب السعادة وبعضها يجلب النحس، وأبطل المسلمون ذلك، يقول ابن حزم الأندلسي - رحمه الله: «زعم قوم أن الفلك والنجوم تعقل وأنها ترى وتسمع، وهي دعوى باطلة بلا برهان، وصحة الحكم أن النجوم لا تعقل أصلاً، وأن حركتها أبداً على رتبة واحدة لا تتبدّل عنها، وهذه صفة الجماد الذي لا اختيار له، والواقع أنه ليس للنجوم تأثير في أعمالنا، ولا لها عقل ندبّرنا به، والنجوم أيضاً لا تدل على الحوادث المُقبلة»[2]، وناقش ابن الهيثم نظرية جالينوس عن الدور الذي ذاهب الرئتان في نقل الدم من تجويف القلب الواحدة إلى الأخرى وأعلن أنها خاطئة، وأثبت العلم الصحيح صحة قوله.[3]

ب - إضافة الجديد في مختلف المجالات:

في الطب، والفلك، والكيمياء، والصيدلة، والملاحة، والجغرافيا، وعلوم البحار، والصوت، والضوء، والأرقام، والحساب، والجبر، والمراصد، وصناعة الورق ونحوها[4] كما عرف المسلمون العقاقير، وحددوا منافعها ومضارها، وقد سجل ابن البيطار ١٤٠٠ عقاراً لم يعرف اليونان منها غير ٤٠٠ عقار.

وكان المسلمون هم أول من فتح الحدائق في المدائن، وسدوا الشرايين النازفة، واستقدموا عفن البساتين وعشب الغراب باعشارهما مراهم.

---

(١) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي ج ١ ص ١٧١.

(٢) انظر: معلمة الإسلام لأنور الجندي، المجموعة الأولى، فصل العلم في الإسلام ص ٦١٤ - ٦١٥ بتصرف.

(٣) انظر: المرجع السابق - ص ٦١٥.

(٤) انظر: معلمة الإسلام لأنور الجندي، المجموعة الأولى، فصل العلم في الإسلام ص ٦١٥.

جـ - اختراع ما هو نافع وابتكار ما هو مفيد مثل وضع أصول المنهج العلمي واختراع الساعات الدقاقة والزوالية، واكتشاف قوانين نقل الأجسام، وكذلك الإبرة المغناطيسية التي انتقلت إلى أوروبا في القرن الثاني عشر، وكانت علوم المسلمين في الجغرافيا والفلك هي صاحبة الفضل الأكبر في الكشف عن الأمريكيتين، إلى غير ذلك من صور[1] الجهود والإسهامات العلمية المتميزة.

إن الغربي إذا صار عالماً ترك دينه، بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلاً، ولم يرتقِ العلم في أوروبا إلا بفصل الدين عنه بينما العكس في الإسلام، فإن قومه لم تكن حالة دون البحث والنظر بل كانت مصدراً من مصادره، وقد حدد الإسلام موقف العلم، فجعله في إطار العقيدة وجعله خالصاً لإسعاد الإنسانية[2].

٣ - شيوع الأمن وانتشار الأمان:

ورغم الفتوح الكثيرة واتساع أراضي الدول الإسلامية، فإن الأمن كان صفة مميزة للحضارة الإسلامية على خلاف الحضارات الأخرى، ومرجع ذلك إلى ما اختصت به الحضارة الإسلامية من العدالة والمساواة، إذ لم يكن هدف السلطة في الإسلام استعمار الأرض واستنزاف خيراتها، وإنما كان نشر الدعوة وتعبيد الناس لله رب العالمين وتحكيم شرعه.

ولعل هذا هو الذي جعل الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وقبائلهم يدخلون في دين الله أفواجاً، ويحملون بدورهم راية الإسلام وينشرونها في ربوع الأرض.

وتمتع كلّ فرد في المجتمع حتى من كان كافراً مادام مسالماً بالأمان المتمثل في الحفاظ على الدماء والأموال والأعراض، بسبب تطبيق شرع الله في الأرض، وصدق الله القائل: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ سورة البقرة الآية (٣٨)

ثانيا - أهم أسباب قوة العالم الإسلامي بالأمس وكثرة عطائه:

ومن أهم هذه الأسباب:

١ - تمسك المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

أمر الله بالاستمساك بالوحي الذي أنزله على رسوله رحمة وهدى للعالمين، فقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٦٢٤ - ٦٢٦ بتصرف.

(٢) انظر: معلمة الإسلام لأنور الجندي: المجموعة الأولى: فضل العلم في الإسلام ص٦١٥.

بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة الزخرف الآيتان: (٤٣ - ٤٤)

وقال النبي ﷺ: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدًا: كتاب الله وسنتي»[1]. وقد استجاب المسلمون لذلك فلم يحيدوا عنه إلى حد أنه لما جاء التتر إلى الدولة الإسلامية في القرن السابع الهجري وأسقطوا الخلافة، وأرادوا حمل الناس على الاستمساك بغير الكتاب والسنة، لم يقبل المسلمون منهم ذلك وقضوا الموت وقاوموهم مجتمعين فنصرهم الله عليهم، وشرح الله صدر التتر فدخلوا في الإسلام وحملوه إلى بلادهم ناشرين له ومدافعين عنه.

٢ - الوحدة الإسلامية الجامعة:

وقد أثمر الاستمساك بالكتاب والسنة وحدة إسلامية جامعة في الفكر والمشاعر، وامتزاجًا وتجانسًا بين الأرواح، وصدورًا عن رأي واحد وإن تعددت الأجساد، مصداقًا لقوله - عز وجل: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الأنفال الآية: (٦٣) ومضى المسلمون حريصين على هذه الوحدة ونقلها من جيل إلى جيل، امتثالاً لقوله الله عز وجل: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ... ﴾ سورة آل عمران الآية: (١٠٣)

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب العلم: باب خطبته - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع ١/ ٩٣ من حديث ابن عباس وأبي هريرة.

س١ – استدل من التاريخ الإسلامي على المواقف التالية:

أ – قوة الاقتصاد في الدولة الإسلامية.

ب – التقدم الهائل في العلوم والآداب المختلفة عند المسلمين قديماً.

جـ – شيوع الحرية والعدالة والمساواة في الدول الإسلامية.

س٢ – بم تعلل؟

أ – النهضة العلمية للمسلمين في القرنين الأول والثاني.

ب – شيوع الأمن في الأراضي الإسلامية بالأمس.

س٣ – أكمل الجمل التالية:

أ – أثمر الاستمساك بالكتاب والسنة ..... جامعة في الفكر والمشاعر.

ب – يقول الرسول الكريم: تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً ..... و .....

جـ – من أسباب قوة عطاء العالم الإسلامي بالأمس .....

.....

س٤ – إن الشرق القديم كان منبع الحضارة ومصدرها

- على ماذا تدل هذه العبارة؟

وكيف يوظف المسلمون اليوم هذه العبارة في حياتهم العلمية؟

س٥ – قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... ﴾

ارجع إلى أحد التفاسير المعروفة، وسجل معنى الآية الكريمة ثم اكتب رسالة تخاطب فيها الشعوب الإسلامية وتدعوهم للوحدة والسلام فيما بينهم.

أ – ارجع لتفسير ابن كثير، وسجل معنى الآية الكريمة في كراستك.

ب – اكتب رسالة تخاطب فيها الشعوب الإسلامية وتدعوهم إلى الوحدة والسلام فيما بينهم.

العالم الإسلامي اليوم

تمهيد

مما لا شك فيه أن العالم الإسلامي اليوم يعيش حالاً من الضعف والانحطاط والتأخر لم يشهد لها مثيلاً، ولم يعرف لها نظيراً في كل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعسكرية والأدبية والصحية ونحوها، ولابد للتخلص من هذه الحال من الوقوف على بعض المظاهر الدالة عليها ومعرفة الأسباب التي أدت إليها والآثار المترتبة عليها على النحو التالي:

أولاً - أهم مظاهر ضعف العالم الإسلامي اليوم:

ومظاهر ضعف العالم الإسلامي اليوم كثيرة، وأهمها:

١ - الفرقة والتمزق:

فقد وقع أكثر من سبب انتهى بالعالم الإسلامي إلى الفرقة والتمزق وانقسام الدولة الإسلامية الواحدة إلى أكثر من خمسين دويلة، الأمر الذي أطمع الأعداء وجعلهم يسعون جاهدين للسيطرة على هذا العالم بخيراته وثرواته وحضارته ومجده، وبمرور الزمن تحقق لهم ما أرادوه من بسط سلطانهم واستغلال الخيرات والثروات ونشر الشر والفساد جزاءً وفاقاً، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [سورة الأنفال الآية: (٤٦)]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران الآية: (١٠٥)]

٢ - ضياع الوحدة الاقتصادية:

وبعد أن كان العالم الإسلامي يشكل من أقطاره وحدة اقتصادية تقوم على سد النقص وتلبية احتياجات كل قطر أو إقليم، عاد منقسماً إلى كيانات اقتصادية صغيرة منطوية على نفسها لا شأن لها بالآخرين، الأمر الذي أعطى المتربصين بهذا العالم الفرصة للتدخل في شؤونه، وسد حاجاته الاقتصادية مقابل شروط بما لا تحمد عقباه من الديون الربوية ومن كل صور الهيمنة والاستعمار[٢]

---

(١) و(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي للدكتور أحمد شلبي ص١٩٤ - ١٩٧، بتصرف كثير

٣ - الشعور بالخوف وعدم الأمان:

وهذا من أكبر مظاهر ضعف العالم الإسلامي اليوم وذلة أعدائه، حيث أصبح المسلم مهدداً في دمه وماله وعرضه ووطنه ودينه داخلياً وخارجياً إلا من رحم الله، والنتيجة الطبيعية لهذا هي القعود عن أداء الواجب، ثم الوقوع فريسة في أيدي الحاقدين المتربصين وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ ﴾سورة الجن الآية: (١٧)

ثانياً - أهم أسباب ضعف العالم الإسلامي اليوم:

١ - الحكم بغير ما أنزل الله - تعالى:

إذ صار العالم الإسلامي في كثير من أقاليمه يتحاكم إلى مناهج بشرية مصنوعة وقوانين وضعية شرقية وغربية هنا وهناك مديراً ظهره إلى الحكم بغير ما أنزل الله فقض بذلك عهد الله وميثاقه، معرضاً نفسه إلى غضب الله وسخطه.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾سورة طه الآيات من: (١٢٤ - ١٢٧)

وتمثل ذلك في خواء النفوس، وشيوع المعارك القائمة على اختلاف الأجناس، والألوان، واللغات، وامتلاء الصدور بالحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ووقوع الفرقة وتمكن الأعداء.

وهذا ما حذر منه النبي ﷺ حين قال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، وتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجة: ٢/ ١٣٣٢، من حديث ابن عمر مرفوعاً وحسنه البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ١٨٥ - ١٨٦ بقوله: صحيح الإسناد.

٢ - الجمود الفكري والعلمي وترك الرباط:

وكان من الطبيعي والحال هذه أن يصاب المسلمون بالجمود الفكري والتبعية، فلم يستطيعوا مواجهة المسائل الطارئة والوقائع المتجددة، فعمل الناس على غير الهدى وقلدوا غيرهم ولاسيما في كل ما هو ضار وقبيح، كما قعدوا عن مواصلة التقدم العلمي في الوقت الذي كان أعداؤهم يعملون ليلاً ونهاراً حتى سيطروا وسادوا، وتركوا الرباط والجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الحق ونسوا وصية عمرو بن العاص - رضي الله عنه - للمسلمين في مصر «واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ولتزلف قلوبهم إليكم وإلى داركم»[1].

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم للندوي ص١٢٥.

التقويم

س١ - أكمل الجملة التالية:

أ - أبرز الأسباب التي أضعفت العالم الإسلامي:

- .....
- .....

س٢ - حذر الرسول الكريم أمته من خمسة أمور. هن من البلاء العظيم، اذكر هذه الأمور الخمسة، ثم علق عليها من وجهة نظرك ومن مشاهداتك للأمور من حولك.

س٣ - بم تعرف الجمود الفكري؟ وما مظاهره في العالم الإسلامي اليوم؟

ثم قدم نصيحة للمسلمين تنقذهم من هذا التخلف العظيم

س٤ - قال - تعالى - في سورة الأنفال: ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ... ﴾

أ - ارجع إلى أحد التفاسير ثم سجل معنى الآية الكريمة.

ب - اكتب آية كريمة أخرى تؤيد هذه الآية.

س٥ - اقرأ كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) لأبي الحسن الندوي

ثم اكتب تقريراً حول الهيمنة الإستعمارية على الاقتصاد الإسلامي.

س٦ - بم تعلل: «المستقبل للعالم الإسلامي دائماً»؟

مبشرات على طريق نهضة العالم الإسلامي المرتقبة

■ تقديم:

إن المستقبل لهذا الدين الذي سيظهره الله - تعالى - على أيدينا أو أيدي من يأتي بعدنا، وهذا دليل قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة التوبة الآية: (٣٣)، وقول النبي ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز وذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»[1].

إن حالة الضعف التي يمر بها العالم الإسلامي اليوم لن تدوم طويلاً، لأن الأمة التي يمثلها وهي أمة الشهادة على العالمين، يعني أنها تقيم الإسلام في نفسها ديناً ودنيا وتدعو الآخرين أن يقيموه كذلك في أنفسهم ديناً ودنيا، فإن لم يستجيبوا فلا أقل من أن يخضعوا للعموم لسلطانه ونظامه، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ... ﴾ سورة البقرة الآية: (١٤٣)، وقال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾ سورة آل عمران الآية: (١١٠) وقد وعدها ربها التمكين الدائم بشروطه فقال: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا ... ﴾ سورة النور الآية: (٥٥)، وإذا كانت شروط التمكين قد غابت من حياة هذه الأمة كلها أو بعضها منها فابتلاها الله بما ابتلاها به من الضعف والتأخر والهوان، فإنها آخذة في الرجوع إليها من جديد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ الكتاب أجله، وهي بمثابة مبشرات على طريق النهضة المرتقبة وإليك هذه المبشرات:

أولاً - المبشرات الثقافية والعلمية:

وتتجلى في:

١ - الإقبال على تعلم اللغة العربية بكل فروعها، وهذا من الأهمية لكونها مفتاح فقه الكتاب والسنة، وطريق الدخول إلى تاريخنا الإسلامي بسناه وضيائه، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى الوحدة الإسلامية

---

(١) رواه أحمد في مسنده.

الجامعة مع الانتفاع بالإيجابيات وتجنب السلبيات.

٢ - الحرص على التفقه في الدين عقيدة، وعبادة، وأخلاقاً، ونُظماً وتشريعات: وهذا بدوره كان سبباً في ضبط تصرفات المسلم من ناحية، وإرشاده إلى مكائد الشيطان في سبيل إحباطها، وكيفية القضاء على الانهزام النفسي أو الفعودل والفتور والكسل من ناحية أخرى.

٣ - النبوغ في العلوم التجريبية من طب، وهندسة، وفلك، وجبر، وحساب، وزراعة ونحوها حتى كانت تغيظ العلماء الذين على أكتافهم تدور عجلة البحث العلمي والإنتاج في كل من أوروبا وأمريكا، وهم بإذن الله رصيد مُدّخر للأمة يمكن توظيفه والانتفاع به في اللحظة الحاسمة، والبيئة المناسبة.

٤ - الرد على الشبهات والأباطيل التي أثيرت وتثار بين الحين والحين حول الإسلام والمسلمين بصورة تحمي الناشئة والشباب من التأثر بهذه الشبهات والأباطيل.

٥ - إنشاء العديد من المؤسسات والهيئات الإسلامية الثقافية والعلمية، لتقوم بمهمة نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة، والإفادة والاستفادة من الثقافات الأخرى في ضوء القيم والمبادئ الإسلامية.

٦ - انتشار الكتاب الإسلامي المتضمن الصورة الكلية للإسلام بشموله ووسطيته وواقعيته وسماحته ويسره وثباته ومرونته، بالإضافة إلى بعث المخطوطات في كلّ فروع الثقافة والعلم من جديد بعد أن كادت تندثر وتموت.

ثانياً - المبشرات الأخلاقية والسلوكية:

وتتجلّى في:

١ - الالتزام بالإسلام ولا سيما بين طائفة كبيرة من الناشئة والشباب في كلّ شؤون الحياة قدر الطاقة والإمكان، كما تشهد المساجد في رمضان ومواسم الحج والعمرة والحرص على الحجاب والزيّ الشرعي لدى النساء وتحرّي الحلال في المطاعم والمشارب وشؤون حياة المسلم والبيوت المُسلمة كلها.

٢ - إنشاء اللجان والمؤسسات التي تعمل على تهيئة المناخ الملائم لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ومن أهمّ الأعمال المنوطة بها: وضع البحوث اللازمة لكثير من جوانب الحياة، وتقنين أحكام الشريعة الإسلامية وتشجيع محاضن الدعوة والتربية الرسمية وغير الرسمية لتسعى في أداء دورها، والقيام بواجبها على الوجه المنشود.

٣ - القيام بواجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر مع الالتزام بشروطه وآدابه دون استخدام القوة والقسوة، فقد ثبت في واقع المُسلمين أن الكلمة الطيبة والدعوة بالحسنى هي الطريق المُؤثّر المقبول.

ثالثاً - المبشرات الأسرية:

وتتجلى في:

١ - الاهتمام بالأسرة في ضوء النظام الإسلامي بما يكفل لها البقاء والترابط والنجاح في أداء دورها ورسالتها وبحقق السعادة للمجتمع، وكذلك الاهتمام بالشباب من حيث إنه: أمل الحاضر، وثروة المستقبل.

٢ - الاهتمام بالطفل على اعتبار أنه اللبنة الأولى في بناء المجتمع في ضوء أسس الإسلام وتعاليمه، وأهم صور هذا الاهتمام السعي نحو إيجاد قدوة حسنة أو مثل طيب يقتدي عن الصغير على نور المبادئ الإسلامية السمحة من الإيمان، والصدق، والحبّ المُجرّد، والعلم، والمعرفة بأمور الدين والدنيا، وتمثل ذلك في تعديلات جوهرية في نُظم التعليم في البلاد الإسلامية كما انتشرت المدارس الإسلامية الخاصة التي استقطبت أعداداً وفيرة من أبناء المجتمعات الإسلامية، بل إن هذه المدارس انتشرت في البلاد الأوروبية وغيرها لتحصين أبناء الجاليات الإسلامية وتُعد أبناء المسلمين إعداداً جيداً وتحفظهم من الانحرافات، وتُحافظ على هويتهم الإسلامية.

٣ - العناية بالمرأة المُتمثلة في اعتنائها بأن الإسلام ارتقى بها إلى مستوى لم يكن لها به عهد قبل البعثة المُحمدية، أعطاها من الحقوق فاق ما عليها من الواجبات سوى مسألة القوامة حيث جعلها للرجل، فقال سبحانه: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ - سورة البقرة الآية: (٢٢٨)

رابعاً - المبشرات الاجتماعية

وتتجلى في:

١ - التوسع في أعمال البرّ والمعروف من أجل تخفيف المُعاناة عن كل صاحب حاجة، وكذلك من ألم به عذر من الأعذار، كما تشهد بذلك بيوت الزكاة وصناديق الوقف الخيري وإحياء العمل الإسلامي المُنتشرة في كلّ قارات العالم.

٢ - وضع الأصول والقواعد التي لابدّ منها لتحقيق وحدة فكرية جامعة بين المسلمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأوطانهم على اعتبار أنها الأساس الوحدة السلوكية والتطبيقية.

٣ - التنسيق بين بعض الأقطار من أجل التعاون لتحقيق المصالح والأهداف المُشتركة، كما يشهد بذلك مجلس التعاون الخليجي ومنظمة المُؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية وغيرها.

خامساً - المبشرات الاقتصادية:

وتتجلى في:

١ - حصر الإمكانات والموارد الاقتصادية المُتاحة في العالم الإسلامي والعمل على استغلالها على أكمل وجه، وقد سعت كثير من الدول الإسلامية إلى التقارب في هذا الشأن.

٢ - اهتمام العديد من الدول في العالم الإسلامي بتنمية ذاتها اقتصادياً عن طريق خطط تنمية تأخذ في اعتبارها التغلب على المعوّقات التي تقف حجر عثرة أمام تقدمها اقتصادياً مثل القضاء على الأمية والأمراض والفقر.

٣ - وضع بعض السياسات والنظم الاقتصادية في كثير من دول العالم الإسلامي، التي تهدف إلى تحقيق التكامل الاقتصادي.

٤ - تشجيع التبادل والتكامل في الصناعة والزراعة حسب المزايا التي تتمتع بها كل بلد إسلامي توفيراً لتكاليف التكرار أو المنافسة غير المجدية وتشجيع تبادل الخبرات والإفادة من التجارب الاقتصادية فيما بينها.

٥ - استخدام التقنية الحديثة وتطويرها وتطويعها بما يخدم ظروف التنمية الاقتصادية في العالم الإسلامي.

٦ - الحرص على تخفيف ما على بعض دول العالم الإسلامي من ديون أو تخفيضها وإسقاطها في بعض الأحيان.

٧ - إقامة البنوك والمصارف الإسلامية وانتشارها في العالم الإسلامي كله، بل بدأ انتشارها في غير بلادنا الإسلامية، وهذا دليل نجاح التجربة الاقتصادية الإسلامية.

سادساً - المبشرات السياسية والإدارية:

١ - وضع البحوث وإقامة المؤتمرات التي تتناول الشكل الإسلامي للسياسة والحكم المُتمثل في الشورى والانتخاب والتعددية، مع تقييم أشكال السياسة والحكم القائم في العالم اليوم من الديموقراطية والدكتاتورية أو الحكم الفردي الشمولي المطلق.

٢ - تقنين النظم الإسلامية في شتى المجالات: وقد نشأت من أجل ذلك اتحادات ومُنظمات إسلامية وعربية قدّمت تعديلات على القوانين الحالية، كما قدّمت مشاريع قوانين إسلامية.

التقويم

س١ - اختر الإجابة الصحيحة فقط فيما يلي:

أ - حالة الضعف التي يمر بها العالم الإسلامي لن تدوم طويلاً لأن:

- الأمة الإسلامية أمة انتصار دائم. ( )
- الله - تعالى - حليف المسلمين. ( )
- الأمة الإسلامية أمة الشهادة على العالمين. ( )

ب - التوسع في أعمال البر والمعروف في العالم الإسلامي يُعدُّ من المبشرات:

- الاجتماعية نحو النهضة الجديدة. ( )
- الأخلاقية نحو جيل متمسك بدينه. ( )
- الاقتصادية لجمع التبرعات ( )

جـ - جاء الاهتمام بالطفل في الإسلام لأنه:

- الجيل الواعد لنهضة الدين. ( )
- اللبنة الأولى في بناء المجتمع ( )
- يحتاج إلى الاهتمام لصغر سنه. ( )

س٢ - بم تعلل:

أ - العناية بالمرأة في الدين الإسلامي عناية فائقة.

ب - إنشاء البنوك الإسلامية في العالم الإسلامي.

جـ - ضرورة التبادل الاقتصادي بين الدول الإسلامية اليوم.

س٣ - أجب عما يلي:

أ - من خلال فهمك لموضوع المبشرات السياسة والإدارية في العالم الإسلامي تحدث عن:

- المؤتمر الإسلامي العالمي، وإنجازاته في مجال النهضة بالمسلمين.

ب - وضح كيف تكون الثقافة والعلوم جانباً من جوانب النهضة الإسلامية المرتقبة.

جـ - ما رأيك في أخلاقيات بعض الشباب المعاصر المتأثرة بسلوكيات غير إسلامية؟ وكيف ترى الحلول لهذه المظاهر السلبية؟

س٤ - أكمل العبارات التالية بما يناسبها:

أ - على الأمة الإسلامية القيام بواجب ..... و ..... لأنها خير أمة أخرجت للناس.

ب - مجلس التعاون الخليجي ثمرة من ثمرات ..... الواجب بين الأقطار الإسلامية.

جـ - للأسرة في الإسلام مكانة عالية لأنها .....

س٥: اكتب تقريراً حول الدور الرائد الذي قام به مجلس التعاون الخليجي من أجل الوحدة العربية الإسلامية.

المراجع

م	الكتاب	المؤلف
١	تفسير القرآن العظيم	لابن كثير
٢	صحيح البخاري	الإمام البخاري ت 256هـ
٣	صحيح مسلم	الإمام مسلم بن الحجاج ت 261هـ
٤	السنن	الإمام أبو عيسى الترمذي ت 279هـ
٥	السنن	الإمام أبو داود السجستاني ت 275هـ
٦	السنن	الإمام أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي ت 303هـ
٧	السنن	الإمام محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة ت 273هـ
٨	المستدرك	الإمام الحاكم النيسابوري ت 405هـ
٩	السنن الكبرى	للبيهقي ت 458هـ
١٠	كتاب الموطأ	الإمام مالك بن أنس ت 179هـ
١١	الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان	لابن بلبان
١٢	مصباح الزجاجة	الإمام شهاب الدين البوصيري ت 840هـ
١٣	المستدرك على الصحيحين	للحاكم
١٤	معلمة الإسلام	الدكتور أنور الجندي
١٥	مجموع رسائل الدعوة	الإمام الساعاتي ت 1369هـ
١٦	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	الأستاذ أبو الحسن الندوي
١٧	الإسلام والعلم التجريبي	الدكتور : يوسف السويدي
١٨	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية - القاهرة
١٩	النهاية في غريب الحديث والأثر	الإمام أبو السعادات ابن الأثير ت 606هـ
٢٠	الحديث والمحدثون	الدكتور محمد محمد أبو زهو
٢١	قاموس القرآن الكريم - معجم الفاظ	مجموعة من العلماء
٢٢	الأصول من علم الأصول	للشيخ محمد صالح العثيمين
٢٣	خصائص الشريعة الإسلامية	د . عمر سليمان الأشقر
٢٤	الخصائص العامة للإسلام	د . يوسف القرضاوي
٢٥	الملخص الفقهي	د . صالح الفوزان
٢٦	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل	للألباني
٢٧	صحيح الجامع الصغير وزياداته	للألباني
٢٨	دراسات في الثقافة الإسلامية	د . عمر الأشقر وجماعة
٢٩	الموسوعة الفقهية	وزارة الأوقاف بدولة الكويت
٣٠	البداية والنهاية	لابن كثير
٣١	سلسلة الأحاديث الصحيحة	الألباني
٣٢	دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية	د . سعيد عبد الفتاح عاشور وزميله
٣٣	العقد الفريد	لابن عبد ربه الأندلسي
٣٤	السيرة النبوية	لابن هشام

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت